سِلْسِلَةُ الأَعْمَالِ العِلْمِيَّةِ (٧)

التَّعَصُّبُ

بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ

وَآثَارُهُ عَلَى الْعَمَلِ الإِسْلَامِي الْمُعَاصِرِ

تأليفُ الدُّكتُور

نَادِرِ بْنِ نمرٍ وَادِي

غفرَ اللهُ لهُ ولِوالديْهِ وأهْلِهِ ومَشايخِهِ و المُسْلِمين

التعصب

بين الماضي والحاضر

وآثاره على العمل الإسلامي المعاصر

التَّعَصُّب بَيْنَ اَلْمَاضِي وَاَلْحَاضِرِ وَآثَارُهُ عَلَى اَلْعَمَلِ اَلإِسْلَامِي

تـأليف الدكتـور: نـادر بـن نمـر بـن عبـد الـرحمن وادي

غـــــــزة – فلســـــــطين

الطبعـــــة الأولــــى: ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

حقـــوق الطبـــع متاحـــة لكـــل مسلـــم

مـــع رجـــاء إشـــعار المؤلـــف عنـــد الطباعـــة

f.nader.n.wady

y.drnaderwadi

t.nader_wady

٠٠٩٧٠٥٩٩٨٨٠٤٠٨

E.M: nader_2007@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب:

أصله بحث قُدِّم لمؤتمر (آفاق العمل الإسلامي وضوابطه)

الذي عقدته كلية الشريعة والقانون في الجامعة الإسلامية بغزة

في الفترة ما بين: ٤ – ٥ مارس ٢٠١٣م

۞ ۞ ۞

ملخص البحث

هـذا البحـث بعنـوان: (التَّعَصُّـب بـين الماضـي والحاضـر وآثـاره علـى العمـل الإسلامي المعاصر)، وقد تناول الباحث فيه ظاهرة التَّعَصُّب لما لها من ضرر كبير وآثـار سـيئة في ماضـي الأمـة وحاضـرها ومسـتقبلها، وتم فيـه: التعرف على مفهـوم التَّعَصُّب لغةً واصطلاحًا، والتعرَّف على تفسير التَّعَصُّب سيكولوجيًا، ثم الحديث عن نشأة التَّعَصُّب وبداياته وأول من تعصب وتسلسل ظهور التَّعَصُّب في التاريخ البشري والإسلامي، وكذلك الحديث عن أهم الأماكن والمجتمعات التي ينتشر ويكثر فيها التَّعَصُّب، ثم بيَّن أشكال التَّعَصُّب وأنواعه، وخطورته من القرآن والسنة النبوية والحقـائق التاريخيـة والواقعيـة، وكـذلك تم بيان مظـاهره وآثـاره في الجانـب الاجتمـاعي والعلمي والسياسي والديني والقومي، كذلك تم الحديث عن أسبابه ودوافعه، ثم بيَّن أهـم وسـائل العـلاج لهـذا الآفـة الخطـيرة، وذلـك مـن الجوانـب المختلفـة؛ كالجوانـب الوقائية، والجوانب العلاجية، ثم لخصَّ أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث.

۞ ۞ ۞

Abstract

This research titled: ***Intolerance between the past and the present, and its effects on contemporary Islamic Action***.

The researcher has dealt with the phenomenon of intolerance because of its great harm and bad consequences in the nation's past, present and future, it was: to identify the concept of intolerance language and idiomatically, and learn to interpret intolerance psychology, then talk about the emergence of intolerance and beginnings and the first of intolerance and sequence the emergence of intolerance in human and Islamic history, as well as talk about the most important places and communities that spread infested with intolerance, then show forms of intolerance and types, and severity of the Qur'an and Sunnah and historical facts and realism. The researcher also showed manifestations and effects on the social, scientific and political, religious and national, it has also been talked about the causes and motives, then concluded

with the most important methods of treatment for this serious scourge, and the different aspects; like preventive and remedial aspects, then mentioned the most important results and recommendations that came out of research.

المقدمة

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّه، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد:

فإنه لا يخفى على كل ذي لبٍ ما تحياه الأمة الإسلامية اليوم من أزمات في مجالات حياتها المختلفة؛ الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية، وغيرها، وأخص بالذكر: ما تعيشه الأمة من اختلافات وتكتلات وتشرذمات بين أبنائها، هذا الاختلاف الذي نتج عن أسباب وعوامل كثيرة ومتعددة، ولعل من أهم هذه الأسباب والعوامل هو "التَّعَصُّب"، هذه الآفة القديمة الحديثة، التي إذا استحكمت على امرئ فإنها تُعمي قلبه، وتَطمس بصيرته، وتسلب عقله، فلا يُحق حقًا، ولا يُبطل باطلاً.

ولما كانت هذا الآفة على قدر كبير من الخطورة –كما سيتبين من خلال البحث–، وكانت آفة مستشرية في صفوف المسلمين عمومًا، وفي صفوف العاملين في ميدان العمل الإسلامي خصوصًا، فإني آثرت الكتابة في هذا الموضوع، أي موضوع "**التَّعَصُّب بين الماضي والحاضر وآثاره على العمل الإسلامي المعاصر**" وذلك من أجل كشفها وإبراز خطورتها، ومعرفة سبل محاربتها، وتخليص الأمة منها، وما علينا إلا السعي، وعلى الله التكلان، ومنه القبول، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أولاً: أهمية الموضوع وبواعث اختياره:

يستمد هذا البحث أهميته من الأهداف التي يسعى إلى الوصول إليها، حيث إنه يتناول مسألة مهمة جدًا؛ وهي مسألة التَّعَصُّب لما لها من خطر عظيم على واقع الأمة ومستقبلها.

ثانيًا: أهداف الموضوع:

يمكن إجمال أهداف هذا البحث من خلال النقاط التالية:

١- بيان مفهوم التَّعَصُّب وتوضيح حقيقته، وبيان أنواعه، وصوره وأشكاله.

٢- بيان مدى خطورته على واقع ومستقبل الأمة الإسلامية

٣- معرفة أسباب التَّعَصُّب، ومعرفة سبل الوقاية والعلاج منه.

من جوامع الكلم

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

"إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي؛ فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق السنة من ذلك فاتركوه"[١].

(الإمام مالك –رحمه الله–)

"وَلاَ يَجُوزُ لِعَالِمٍ أَنْ يَدَعَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ سِوَاهُ"[٢].

(الإمام الشافعي –رحمه الله–)

"اعلمْ أن المقلدَ على غير ثقةٍ فيما قلَّد فيه، وفي التقليدِ إبطالُ منفعةِ العقلِ؛ لأنه إنما خُلِقَ للتأملِ والتدبرِ. وقبيحٌ بمَنْ أعطيَ شمعةً يستضيءُ بها أنْ يُطفئَهَا ويمشي في الظُّلْمَةِ"[٣].

(الإمام ابن الجوزي –رحمه الله–)

❁ ❁ ❁

(١) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، للحطاب الرُّعيني: ٤/٥٤.
(٢) الأم للشافعي: ٨/٧٤١.
(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي: ١/٧٤.

المبحث الأول:

التَّعَصُّب: مفهومه، ونشأته، وأنواعه

المطلب الأول: مفهوم التَّعَصُّب وحقيقته:

التَّعَصُّب لغة:

التَّعَصُّب من العصبية، والعصبية في اللغة: مشتقة من العصب، وهو: الطي والشد، وعصب الشيء يعصبه عصبًا: طواه ولواه، وقيل شده. والتَّعَصُّب: المحاماة والمدافعة.

والعصبية أن يدعو الرجل الى نصرة عصبته، والتألُّب معهم، على من يناوؤهم، ظالمين كانوا أم مظلومين، وقد تعصبوا إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا . وفي الحديث: العصبي هو الذي يغضب لعصبيته، ويحامي عنهم، والعصبة الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به، ويشتد بهم، .... والتَّعَصُّب: المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه: نصرناه ..[1].

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور: ٤/ ٢٩٦٦ ، تاج العروس للزبيدي: ٣/٣٨٢، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده: ١/٤٥٠.

أما التعصب في الاصطلاح:

فقد عرَّفها محمد عابد الجابري بقوله: إنها رابطة اجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معًا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، ربطًا مستمرًا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو جماعة(١).

ويعرفه أديب اسحاق: غلو المرء في اعتقاد الصحة بما يراه، وإغراقه في استنكار ما يكون على ضد ذلك الرأي حتى يحمله الإغراق والغلو على اقتياد الناس لرأيه بقوة، ومنعهم من إظهار ما يعتقدون، ذهابًا مع الهوى في دعاء الكمال لنفسه وإثبات النقص لمخالفيه من سائر الخلق(٢).

أما التَّعَصُّب حسب الموسوعة العربية العالمية فيعني: اتخاذ مفاهيم خاطئة عن جماعات معينة، وإصدار أحكام عليهم دون الارتكاز على براهين للإدانة، وعدم الأخذ بالوقت كعامل يعطي أحكام متأنية، فالتَّعَصُّب يتجاهل الآخر ويعمل على إقصاءه وتهميشه وإخراج الأحكام ضده، دون دلائل وبراهين(٣).

التَّعَصُّب سيكيولوجيًا

يعرف التَّعَصُّب من وجه نظر نفسية بأنه "اتجاه نفسي مشحون انفعاليا، أو عقيدة أو حكم مسبق في (الأغلب والأعم) ضد جماعة أو شيء موضوع، ولا يقوم

(١) فكر ابن خلدون العصبية والدولة: ص ١٦٨.

(٢) أضواء على التَّعَصُّب مجموعة مؤلفين: ص ١٣

(٣) الموسوعة العربية العالمية: ١٢/٧.

على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية بل ربما يستند الى أساطير وخرافات"[١].

ومن هذه المفاهيم ما ذكره بعض علماء النفس الاجتماعي من مثل:

ألبورت: التفكير السيئ عن الآخرين دون وجود دلائل كافية.

إيرليك: اتجاه يتسم بعدم التفضيل.

ماردن ومابر: التَّعَصُّب اتجاه يتسم بعدم التفضيل ضد جماعة معينة يحط من قدرها ومن قدر كل اعضائها[٢].

(١) علم النفس الاجتماعي حامد زهران ص ١٧٦.

(٢) التَّعَصُّب دراسة نفسية اجتماعية ، معتز سيد عبد الله: ص ٥٨.

المطلب الثاني: نشأة التَّعَصُّب وبداية ظهوره:

التَّعَصُّب صفة مكتسبة

التَّعَصُّب مكتسب متعلم، فليس هناك أي دليل فسيولوجي أو نفسي على وجود غريزة تسمى غريزة التَّعَصُّب، أو أن التَّعَصُّب فطري، ولكن هناك استعداد للتعصب، والتَّعَصُّب كإتجاه نفسي منفعل تحدده المعايير والقيم الاجتماعية التي يتعلمها الأطفال من والديهم ومعلميهم ومن وسائل الإعلام وسائر عوامل التنشئة الاجتماعية دون نقد أو تفكير، فالتَّعَصُّب إذن: ناتج اجتماعي لم يولد الفرد مزودًا به، ويؤكد هذا دراسة ميدانية أعدت لها الغرض وكان نتيجتها أن (٦٩%) من أفراد العينة قرروا أن التَّعَصُّب لديهم مأخوذ ومكتسب من الوالدين(١).

إبليس إمام المتعصبين

فمما يدل على ما سبق من أن التَّعَصُّب مكتسب، ما حدث مع إمام المتعصبين، ابليس –لعنه الله– فقد كان من سادات الملائكة، ومن عباد الله المقربين، إلا أنه طرأت عليه حمية التَّعَصُّب وحب الذات، حسدًا وبغضا لآدم، فتعصب لجنسه، وكان ما كان.

قال تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ}** [الأعراف:١١] .

هذا أول تعصب وقع في الخليقة، وهو تعصب ابليس –لعنه الله– لجنسه، وذلك حين قال: **{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}** [ص:٧٦] .

---

(١) انظر: علم النفس الاجتماعي – د. حامد زهران: ١٧٨.

فقد قاس بمقياس العقل القاصر، وأخذته الحمية الجاهلية، وتغلغل في قلبه الحسد لآدم، كيف يسجد من خُلق من نار لمن خُلق من طين.

ثم تعصب أحد ابني آدم لعمله الذي لم يُتقبل منه، وأخذته العزة بالإثم، فقرر قتل أخيه الذي نال القبول من الله، قال تعالى: {**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**} [المائدة:٢٧] .

فالتَّعَصُّب موجود منذ بدء البشرية، ومرجع ذلك الى الجهل، وحب الذات، ولكن تختلف صوره وأشكاله، فقد يتعصب الناس لجنسهم، أو لقوميتهم، أو لمعتقداتهم.

معاناة الأنبياء مع تعصب أقوامهم

وقد عانى أنبياء الله ورسله من تعصب أقوامهم لمعتقداتهم وكفرهم وباطلهم:

تعصب قوم نوح: {**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ**} [يونس: ٧١].

وكذلك قوم عاد وثمود: {**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**} [إبراهيم:٩] .

وتعصّب قوم إبراهيم: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ**

إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة:٢٥٨] .

وتعصَّب أبو إبراهيم لآلهته: قال تعالى: {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم:٤٦] .

وتعصب قوم موسى: {يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر:٢٩] .

ولكن في الوقت الذي يتعصب فيه الكفار والمشركين من الناس، فإن أنبياء الله ورسله وأتباعهم يتعصبون للحق ولشريعة الله: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف:٣٨] .

جغرافيا التَّعَصُّب: هل صحيح أن "التَّعَصُّب وباء الشرق" ؟!

يرى بعض الباحثين أن التَّعَصُّب موجود في الشرق أكثر من وجوده في الأماكن الأخرى من العا لم:

يصف بعض الباحثين جغرافيا هذا المرض فيقول: هذا المرض الاجتماعي يمتد من المحيط الهندي جنوبا حتى شواطئ البوسفور شمالا، ومن شواطئ سوريا على البحر المتوسط غربا حتى مجاهل الصين شرقا، يقطع أفريقيا من الشمال الى الجنوب، ومن الشرق الى الغرب.

يمتد هذا الوباء في الشرق امتداد امواج الأوقيانوس الزاخرة قاطعًا جبال سورية وهضابها وسهولها وأوديتها زاحفًا في الصحراء زحف الافعى حتى بغداد وصحاري

بلاد العرب، تتمعج هذه الافعى في طريقها كل تمعج فتقطع ايران وأفغانستان والهند والصين وكل صقع من اصقاع المشرق إلا اليابان.

حيث يقوم النزاع الديني في الشرق بين المسلمين والمسيحيين، وفي البلاد الاسلامية يقوم النزاع بين السنيين والشيعيين، وفي الاصقاع المسيحية بين البابويين والأرثوذكسيين والبروتستانت، وفي الهند الوثنية بين الكنفوشيين وأندادهم، وفي ايران بين الشيعيين والبابيين، ... الى غير ذلك مما لا يقع تحت الحصر(١).

وفي النهاية يعزو الكاتب سبب ذلك الى العامل الديني، حيث أن الشرق هو مجمع الأديان ومركزها، حيث اختلاف المعبودات والأديان والمذاهب فيقول: اذا أردت أن تعرف العلة .. فاعلم أن التَّعَصُّب الديني للشرق كان ولا زال الكل في الكل، فهو الطعام الذي يتناوله والماء الذي يشربه والهواء الذي يتنفسه ... فحياة الشرق سلسلة متصلة من الأعمال الدينية، عبد ما فوق الشمس وما تحت الشمس، فعبد النجوم الواقعة في أطراف الكون، وبسط يديه للأشجار، وعبد الطيور في أوكارها والوحوش في أوجارها والأسماك في بحارها. فالدين في الشرق قطعة من حياته(٢).

ويمكن أن يكون هذا الكلام صحيحا إلى حد ما، طالما لم يُقصد به إلقاء بالمسؤولية على الأديان في وجود التَّعَصُّب، ومن ثم نبذ الأديان، ومن ضمنها الدين الإسلامي، فحينها يكون مردودا وغير مقبول.

وهنا لا بد من القول: أن التَّعَصُّب لا يقتصر في وجوده على بلاد الشرق، بل التَّعَصُّب موجود في كل مكان يوجد به الإنسان الجاهل، ففي أمريكا وإلى عهد

(١) أضواء على التَّعَصُّب، مجموعة من المؤلفين: ص ١٢٣ – ١٢٥.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٥. بتصرف يسير

قريب كان التَّعَصُّب للون، فيفضل الأبيض على الأسود وله حقوق وامتيازات ليست للأبيض، وفي ألمانيا كان التَّعَصُّب للجنس والعرق، حيث كان السائد لدى الألمان تفوق العرق الآري على غيره، ويمنح من الحقوق والامتيازات ما ليس لغيره أيضا، بل وضع هتلر[1] قوانين تمنع اختلاط دماء الجنس الآري مع دماء غيره.

ويقول دورين: "حتى في بلدنا بريطانيا الهادئ هذا، فإن أيدينا ليست كلها نظيفة تماما .. وفي ألمانيا بلغ انعدام الرحمة المدى عندما كان يستخرج الصابون من شحم جثث الموتى من رجال السياسة المخالفين في الرأي بعد إعدامهم حيث كانت جثثهم تستبقى لهذا الغرض"[2].

والناس يساقون اليوم إلى تعذيب أشد فتكًا وفظاعةً لمجرد الخلاف في الرأي، وكذلك عند عدم التأييد أو للمعارضة السياسية أو بتهمة الانتماء إلى طبقات معينة كما في روسيا، أو الانتماء إلى جنس معين كما في ألمانيا، أو إلى لون معين كما في أمريكا وجنوب أفريقيا، بل وحتى في أوروبا .. ودل الإحصاء على أنه في روسيا كان حوالي (٤) ملايين من أغنياء الزراع يطردون من بيوتهم ومزارعهم للموت جوعًا في العراء أو للعمل في معسكرات الاعتقال، التي قدر عدد المعتقلين فيها بعدد يتراوح ما بين (١٥ – ٣٠) مليون شخص، وأن محتويات المعتقلات لا توصف، وبلغت نسبة الوفيات فيها حدًا رهيبًا..[3].

هذا هو السجل اللاإنساني لأوروبا ونظمها المادية الوجودية التي لم يكن من السهل مقاومتها والدفاع في مواجهتها عن الدين، وضد ما افتري به عليه من أنه

(١) أنظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١/٢٥٧.
(٢) الإسلام والتَّعَصُّب: ص ٣٦.
(٣) المصدر السابق.

يجلب التَّعَصُّب، ومن الواضح أن التَّعَصُّب يتزايد عند عدم وجود الدين كنظام أساسي في الحكم(١).

العصبية بنية المجتمع العربي

تشير العديد من الدراسات الى أن الولاءات القبلية هي بين أكثر الولاءات رسوخًا في الحياة العربية، مما أدى لظهور تنظيم اجتماعي يقوم على مبدأ قرابة الدم الذي يحدد الولاءات والعصبية من خلال القبيلة التي غدت وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية قائمة بذاتها(٢).

لقد كانت وحدة القبيلة في المجتمع الجاهلي تنم عن فئوية دموية جامحة، فكانت بكل جوانبها موضع اهتمام وافتخار، تحت مفهوم: انصر أخاك ظالما أو مظلومًا، وهو مفهوم قائم على استظهار القوة والبدائية المقيتة، كونه يحمل فئوية الدم(٣).

وفي التاريخ الإسلامي

"عاش المسلمون في الفترة الأولى من حكم الخلفاء الراشدين في أمان سياسي واجتماعي واقتصادي، ولكن هذه المرحلة لم تدم طويلاً نتيجة دخول الاعاجم في بلاد الاسلام وجهلهم بأحكامه، فظهرت الاشاعات التي أطلقها اليهود على لسان عبد الله بن سبأ التي أدت في النهاية الى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

(٢) انظر: علم النفس الاجتماعي، ص ٢٤٧.

(٣) العصبية بنية المجتمع العربي عبد العزيز قباني ص ٥٦.

ومن هذا الوقت بدأت فترة الفتنة التي نشأت بسببها أغلب الفرق الاسلامية، ومنها فرقة الخوارج، التي نشأت بسبب التحكيم الذي تم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنهما-.

وهنا ظهرت العصبيات، من أبرزها حين لجأ الخوارج إلى تكفير المسلمين، ورفضوا التحكيم، وانشقوا عن جيش علي، وأدى هذا الانقسام إلى حدوث انقسامات كثيرة فيما بعد، حيث كانت هذه نقطة أساسية لظهور الفرق والأحزاب لاحقًا"(١).

العصبيات في الدولة الأموية والعباسية

"**ثم ظهرت العصبية الأموية**: وذلك من خلال فكرة ابتكار ولاية العهد، ثم محاولتهم في الفصل بين قبائل العراق وقبائل الشام حسبما يخدم دولتهم.

ومن الواضح بأن مذبحة كربلاء وموقعة الحرة التي قام بها الأمويون ضد الحسين بن علي قد شكلتا القمة في تمثيل العصبية، حيث حملت الرؤوس على أسنة الرماح، وقتل الكثير من المهاجرين والأنصار، ومثل بهم ببشاعة لم يشهد التاريخ مثلها.

ثم ظهرت العصبية العباسية: وهم من ينتسبون الى العباس بن عبدالمطلب، عم رسول الله ﷺ الذي توفي (٣٢هـ)، من خلال تمسكهم بالعصبية لأسرهم التي اتخذت كذريعة للبقاء في الحكم"(٢).

---

(١) انظر: الخروج على الحكام في الفكر الاسلامي جمال الحسيني أبو فرحة: ص ١٥١. وانظر: الامامة والسياسة لابن قتيبة: ١/١١٣.

(٢) للمزيد انظر: التَّعَصُّب القبلي لدى الفصائل الفلسطينية وأثره على التنمية السياسية: ص ٢٨ – ٣٩.

وتبدو العصبية واضحة في قول إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عندما وجه أبا مسلم الخراساني إلى دعاته، ووصاهم أن يسمعوا له ويطيعوا وقال له: "إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم وحل بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانًا عربيًا فافعل فأيما غلامٍ بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله"(١).

بدايات ظهور التَّعَصُّب المذهبي عند المسلمين

تعود بدايات التَّعَصُّب المذهبي في التاريخ الإسلامي إلى الخلافات السياسية والفكرية –الأصولية والفقهية– التي حدثت بين المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، مما أدى إلى ظهور فرق وطوائف وجماعات تمذهبت بأفكار وأصول كانت تحملها، ثم تعصّبت لها وسعت جاهدة إلى نشرها والانتصار لها على أرض الواقع، فدخلت في نزاع مذهبي شديد فيما بينها، على مستوى المشاعر والأفكار، والأقوال والأفعال، وقد تجلى ذلك فيما يأتي(٢):

أولاً: على مستوى الفرق، فإنه لما انقسمت الأمة على نفسها بسبب الفتنة الكبرى بين سنتي: ٣٥-٤١هـ، ظهرت الفرق السياسية المتمثلة في الرافضة، والشيعة،

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٣٠٠.

(٢) هذا المبحث مستفاد من كتاب التَّعَصُّب المذهبي في التاريخ الاسلامي – للدكتور: خالد كبير علال: ص: ٧. (كتاب الكتروني منشور على موقع صيد الفوائد www.saaid.com) وسأشير إليه لاحقا بـ: التَّعَصُّب المذهبي لخالد كبير علال.

والخوارج، والسنة، ثم تنظّمت، وتسيست، وتمذهبت، وتعصبت لأفكارها، وخاضت من أجلها الصعاب والشدائد والحروب[1].

وثانيًا: على مستوى العقائد وأصول الدين، فقد حدثت خلافات كثيرة بين مختلف طوائف أهل العلم، منذ نهاية القرن الأول الهجري وما بعده، فظهرت المعتزلة[2] ونفت صفات الله تعالى وقدمت العقل على الوحي[3] –أي النقل– .

وظهرت الجهمية –أتباع جهم بن صفوان (ق:٢هـ) – فقالت بالجبر وفناء الجنة والنار، وعطّلت صفات الله تعالى[4] . وظهرت أيضا الطائفة الكرامية المجسمة على يد المتكلم محمد بن الكرام السجستاني (ق: ٣هـ)، فجسّمت الله تعالى، وشبهته بمخلوقاته[5] . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

وفي مقابل هؤلاء نجد أهل السنة والجماعة، كانوا يمثلون جمهور المسلمين، رافعين راية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فمثلوا الإسلام الصحيح، وردوا على انحرافات تلك الفرق، فأثبتوا صفات الله تعالى بلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تجسيم، وتولوا الصحابة، وقدموا النقل على العقل[6].

---

(١) انظر مثلاً: عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، حققه محي الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٥، ص: ١٤، ٢١، ٢٤، ٢٩، ٧٢ .

(٢) هم أتباع عمرو بن عبيد البصري (ت١٤٢هـ)، اعتزل هو وأصحابه حلقة شيخه الحسن البصري (ت١١٠هـ)، فسموا بالمعتزلة . نفس المصدر، ص: ٢٠ .

(٣) نفس المصدر، ص: ١١٤ وما بعدها .

(٤) نفس المصدر، ص: ٢١١ .

(٥) نفس المصدر، ص: ٢١٦ .

(٦) نفس المصدر، ص: ٢٦ .

المطلب الثالث: أشكال التَّعَصُّب وأنواعه

أنواع التَّعَصُّب

التَّعَصُّب كغيره من الصفات له أشكال مختلفة، فمنه المذموم، ومنه الممدوح، ولكن إذا أطلق التَّعَصُّب دون تقييد فالمتبادر إلى الذهن هو التَّعَصُّب المذموم:

أولاً: التَّعَصُّب المذموم

وهذا يتمثل فيمن تعصب لجنسه أو لونه أو قبيلته أو جماعته دون النظر في ما هي عليه من حق أو باطل، فينصرها ويدافع عنها حمية وجاهلية عمياء.

وهذا يتمثل في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً فِي جَيْشٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ! فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: (**مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ! كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: (**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ** ..)[(١)].

فقد شدَّد النبيُ ﷺ في زجره على مثل هذا، فقال: (**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**).

بل وجَّه النبي ﷺ كلامًا لاذعًا لمن تعزي بعزاء الجاهلية وأمر أصحابه بفعل نفس الشيء:

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَ أُبَيٍّ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ افْتَخَرَ بِأَبِيهِ، فَأَعَضَّهُ بِأَبِيهِ وَلَمْ يُكَنِّهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ، إِنِّي لَا

(١) صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن – سورة البقرة – باب قوله: يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها – حديث: ٤٩٠٥، ٦/١٥٤.

أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ**[١] **وَلَا تَكْنُوا**)[٢].

وقد سئل المحدث أبو بكر بن عياش (ت ١٩٣هـ): من السني ؟ قال: "الذي إذا ذُكرت الأهواء لم يتعصب إليها"[٣].

ثانيًا: التَّعَصُّب الممدوح

وهذا التَّعَصُّب يقصد به ما كان تعصبًا للحق وللعدل، بمعنى التمسك به وعدم التهاون فيه أو التفريط، وقد وردت الإشارة إليه في أحاديث منها:

عن فَسِيلَةَ بنت واثلة بن الأسقع أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي ﷺ يَقُولُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ ؟ قَالَ: (**لَا، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ**)[٤].

وعن خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَرْمَلَةَ الْمُدْلِجِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: (**خَيْرُكُمُ الدَّافِعُ عَنْ قَوْمِهِ مَا لَمْ يَأْثَمْ**)[٥].

وقد أطلق علماء التراجم والسير مصطلح التَّعَصُّب لمن كان هذا حاله، أي كان شديدًا في الحق ومتعصبًا له:

---

(١) فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا: أي قولوا له أعضض بأير أبيك ولا تكنوا تنكيلا له وتأديبا (النهاية في غريب الحديث: ٣/٢٥٣).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٣٦/٥ ، رقم: ٢١٢٣٤. وحسنه الأرنؤوط.

(٣) اعتقاد أهل السنة اللالكائي، ج١ ص: ٦٥ .

(٤) مسند أحمد: ١٩٦/٢٨، ١٦٩٨٩، وقال الأرنؤوط: حديث حسن، وضعفه آخرون.

(٥) الآحاد والمثاني للشيباني: ٢٤١/٢، رقم: ١٠٣٣، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن (الإصابة: ٦٠/٤) وقال آخرون إنه مرسل.

قال بعض علماء الجرح والتعديل: إن القاضي أبا الحسن محمد الرازي الشافعي (ت ٣٣٨هـ) كان متعصبًا للسنة ناصرًا لأهلها[١]. وقيل في الثري أبي منصور بن يُوسف البغدادي (ت٤٦٠هـ): "كان صالحا عظيم الصدقة، متعصبًا للسنة"[٢].

وبذلك يتبين أن التَّعَصُّب على نوعين، أولهما الانتصار للحق وهو ممدوح، وثانيهما الانتصار للباطل وهو مذموم ... ومقياسنا في ذلك هو النقل الصحيح – أي الكتاب والسنة– والعقل الصريح، فما وافقهما فهو تعصب للحق، وما خالفهما فهو تعصب للباطل[٣].

وفي التَّعَصُّب الممدوح

يستهجن جمال الدين الافغاني على من يتشدق وينكر التَّعَصُّب ويذمه: فقال عن التَّعَصُّب: "لفظ شغل مناطق الناس، تلوكه الألسن، وترمي به الأفواه في المحافل والمجامع، حتى صار تكأة للمتكلمين، يلجأ إليه العيي في تهتهته، والذملقاني في نفيهقه .."[٤].

وقد بين الأفغاني مراده بذلك حينما فصَّل بين أنواع التَّعَصُّب فقال: "نعم إن التَّعَصُّب وصف كسائر الأوصاف: له حد اعتدال وطرفا إفراط وتفريط، واعتداله هو الكمال الذي بينا مزاياه، والتفريط فيه هو النقص الذي اشرنا لرزاياه، والإفراط فيه

(١) سيّر أعلام النبلاء للذهبي: ٣٧٩/١٥.

(٢) نفس المصدر: ٣٣٣/١٨ .

(٣) التَّعَصُّب المذهبي: د. خالد كبير علال، ص٧.

(٤) أضواء على التَّعَصُّب: مجموعة من المؤلفين والكلام لـ: ناصيف نصار: ص٢٧.

مذمة تبعث على الجور والاعتداء، فالمفرط في تعصبه يدافع عن الملتحم به بحق وبغير حق .."[1].

إلى أن قال: "ثغثغ جماعة من متزندقة هذه الاوقات في بيان مفاسد التَّعَصُّب الديني، وزعموا ان حمية اهل الدين لما يؤخذ به اخوانهم من ضيم لدفع ما يلم بدينهم من غاشية الوهن والضعف، هو الذي يصدهم عن السير الى كمال المدنية، ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة"[2].

ثم قال ردًا عليهم: كذب الخراصون، إن الدين أول معلم وأرشد أستاذ وأهدى قائد للأنفس الى اكتساب العلوم والتوسع في المعارف وارحم مؤدب وأبصر مروض يطبع على الآداب والأخلاق الحسنة الكريمة"[3].

والأفغاني في تفسيره هذا للتعصب إنما هو: "ليبرر دعوته إلى التَّعَصُّب الديني المعتدل، وهدفه الظاهر هو تأليف البلدان الاسلامية ضد العدوان الاستعماري، تحت شعار الجامعة الاسلامية"[4].

❁ ❁ ❁

---

(١) أضواء على التَّعَصُّب: ص ٢٩.

(٢) أضواء على التَّعَصُّب: ص ٣١.

(٣) أضواء على التَّعَصُّب: ص ٣٢.

(٤) أضواء على التَّعَصُّب: ص ١٩٢.

المبحث الثاني:

خطورة التَّعَصُّب، ومظاهره، وأسبابه

المطلب الأول: خطورة التَّعَصُّب

اتجاه التَّعَصُّب شديد الخطورة على الفرد والمجتمع، ولقد قدمت البشرية ثمنًا باهظًا للتعصب، والذي تجلي حسبما تقول الاحصائيات، التي تذكر أن ضحايا التَّعَصُّب منذ عام (١٩٤٥م) يزيدون عن (١٦) مليون نسمة وهو رقم يفوق ضحايا الحروب الدولية في حين أشارت دراسة أخرى حول عقدين فقط (١٩٤٥م – ١٩٦٧م) إلى أن (٣٤) حادثة دموية بشعة ومئات من المآسي الأقل حدة تسببت جميعها في مقتل (٧.٤٨٠.٠٠٠) نسمة[1].

ذم التَّعَصُّب من القرآن والسنة

قال تعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}** [المائدة:٧٧] .

فمن خصائص الإسلام الوسطية: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** [البقرة:١٤٣].

(١) في أسباب التَّعَصُّب: نحو رؤية تكاملية د . هاني الجزار: ص ١٣.

وعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**)[1].

وقد سبق حديث جَابِرٍ ﷺ الذي فيه قول النبي ﷺ عن الحمية العصبية: (**مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ... دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ**)[2].

وقد يكون التَّعَصُّب مذمومًا ولو كان للحق، وذلك حين يكون التَّعَصُّب للحق بطريقة سلبية بعيدة عن روح الإسلام، بحيث تنفر الآخرين منهم:

يقول الغزالي أبو حامد: "التعاون على طلب الحق من الدين، ولكن له شروط وعلامات، منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده أو على يد معاونه، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا، ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهره له"[3].

ويقول أيضا: "وهو من آفات علماء السوء فإنهم يبالغون في التَّعَصُّب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التَّعَصُّب والتحقير لا نجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التَّعَصُّب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التَّعَصُّب عادتهم وآلتهم

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الإمارة – باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر – حديث: ٢٢/٦، ٤٨٩٨.

(٢) صحيح البخاري – كتاب المناقب– باب ما ينهى من دعوة الجاهلية – حديث: ١٨٣/٤، رقم: ٣٥١٩.

(٣) إحياء علوم الدين: ٤٤/١.

وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة"(١).

ومما اشتهر من مقولات الإمام الشافعي في الإنصاف: "ما كلمت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما كلمت أحدا قط إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه"(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن وهو على القضاء فلما وضع السرير جلس وجلس الناس حوله قال فسألته عن مسألة فغلط فيها فقلت أصلحك الله القول في هذه المسألة كذا وكذا إلا أني لم أرد هذه إنما أردت أن أرفعك إلى ما هو أكبر منها فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال إذا أرجع وأنا صاغر إذا أرجع وأنا صاغر لأن أكون ذنبا في الحق أحب إلي من أن أكون رأسا في الباطل(٣).

وقد وقع لعمرو بن عبيد أنه قال في مسألة رأيا فأخطأ فيه، فناقشه واصل بن عطاء فتبين لعمرو بن عبيد خطأه في تلك المسألة، فرجع الى الحق قائلا: ما بيني وبين الحق من عداوة(٤).

والمقصود من كل ذلك أن يكون الحوار بريئًا من التَّعَصُّب خالصًا لطلب الحق، خاليًا من العنف والانفعال، بعيدًا عن المشاحنات الانانية والمغالطات، مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس، ويولد النفرة، ويوغر الصدور، وينتهي الى القطيعة(١).

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: ١/٤٠.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٩/١١٨.

(٣) تهذيب الكمال للمزي: ٢٥/١٩.

(٤) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي: ٦٢.

أما عن آثار التَّعَصُّب: فقد نهى الله تعالى ونهى رسوله عن التَّعَصُّب وذلك لما يترتب عليه من آثار[٢]:

في الجانب الاجتماعي

أولاً: تفكك البناء الداخلي للمجتمع الإسلامي، ودخول طوائفه في نزاعات وصراعات مذهبية عنيفة.

وثانيًا: حدوث فتن دامية كثيرة، بين مختلف الطوائف الإسلامية، قُتل فيها خلق كثير.

ثالثًا: ضعف رباط الأخوة الإسلامية القائم على الدين، وحلول التَّعَصُّب المذهبي محله، كرباط يجمع أبناء الطائفة الواحدة، ويُباعد بينهم وبين أبناء الطوائف الأخرى، فأدى ذلك إلى تكريس التَّعَصُّب والشقاق، والتنافر والتناحر، واختصاص كل طائفة بمساجدها، ومدارسها، وطلابها، وأساتذتها، وأحيائها السكنية.

أما بالنسبة للجانب العلمي

أولاً: منها إنه صبغ الحياة العلمية بطابع التَّعَصُّب المذهبي في أصول الدين وفروعه، وأدى إلى اشتداد النزاع والتنافر بين مختلف طوائف أهل العلم، فكثُر فيهم الغلاة والمتعصبون من مختلف الطوائف المذهبية دون استثناء .

وثانيًا: إنه أدى إلى كثرة الكذب في الأحاديث النبوية، والروايات التاريخية، انتصارًا للمذاهب .

---

(١) ضوابط الحوار مع الآخر: د. سعد عاشور: ١٠٧ – ١٠٨ .

(٢) انظر: التَّعَصُّب المذهبي: د. خالد كبير علال من ص ١٥٨ – ١٦٥ مختصرًا.

وثالثًا: إنه –أي التَّعَصُّب –أوصل الطوائف المذهبية إلى اختصاص كل منها بمصادر مذهبية مغايرة لمصادر الطوائف الأخرى، فكل طائفة تستقي أصولها وفروعها من مصادرها، فللمعتزلة مصنفاتهم، وللشيعة كتبهم، وللإباضية مؤلفاتهم، وللطوائف السنة مصنفاتها.

رابعًا: إنه أوصل الغلاة المتعصبين إلى الانحراف في فهم القرآن الكريم، بإتباع الظن والهوى في فهمه، والاحتكام إلى الأفكار المذهبية المسبقة في تفسيره، كما هو حال الشيعة والمعتزلة وغيرهم من الفرق المنحرفة عن الشرع الحكيم .

وخامسًا: التَّعَصُّب أدخل غالبية أهل العلم –خلال عصر التقليد والتَّعَصُّب المذهبي- في قوقعة الفقه المذهبي وكبّلهم به، وصرفهم عن الاطلاع على ما عند الطوائف الأخرى من علم صحيح، وحرمهم من الانتفاع به .

وسادسًا: إنه أبعد معظم أهل العلم عن التعامل المباشر مع القرآن الكريم والسنة النبوية، وعن فقه السلف الأول، ففوّت عليهم الانتفاع الصحيح والكامل من علوم الكتاب والسنة .

وسابعًا: التَّعَصُّب المذهبي أخذ من أهل العلم –على اختلاف طوائفهم- أوقاتًا عزيزة كثيرة، وجهودا مضنية عظيمة، أمضوها في خدمة الفقه المذهبي المتعصب، انتصارا له وردا على مخالفيه.

وثامنًا: إنه–أي التَّعَصُّب – أورث في المتمذهبين المتعصبين الجرأة على تخطئة أئمة المخالفين لهم من جهة، وأورث فيهم الضعف والسلبية تجاه أئمتهم من جهة أخرى، فهم في الغالب الأعم لا ينتقدون أئمتهم، ولا يردون عليهم، ويُبالغون في تعظيمهم وتقديسهم والاعتذار لهم.

ومن أضرار التَّعَصُّب في نواحي الدين والسياسة والجنس

"التَّعَصُّب يظهر في مجالات متعددة أهمها الدين والفكر والسياسة والقومية، وله في كل مجال نتائج شديدة الخطر.

فالتَّعَصُّب في الدين يؤدي الى اضطهاد العلماء والجمود، وفي الفكر يؤدي الى الدوغماطيقية[(١)] والمذاهب المطلقة والمغلقة، بينما التسامح يؤدي في المقابل الى الحوار والمذاهب المفتوحة، هذا على مستوى الفرد، وعلى مستوى الدولة يؤدي التَّعَصُّب الى تكوين أيديولوجيات لا تقبل إلا مبادئها وترفض غيرها من أيديولوجيات وهذا تبعًا إلى الصراع الأيديولوجي والحرب، وفي مجال السياسة يؤدي التَّعَصُّب الى الدكتاتورية والاستبداد، والتَّعَصُّب الجنسي أو العرقي يؤدي الى تحقير جنس لآخر كما في اسطورة "رينان"[(٢)] عن تفوق الجنس الآري[(٣)] على السامي، التي هي أكذوبة أكذوبة علمية تهبط بالعقلية السامية (بما فيها العربية) مقابل الاعلاء من ذكاء وتفوق الجنس الاوروبي"[(٤)].

(١) الدوغماطيقية أو الدوغماتية: ترجمة لكلمة (dogmatic) وهي الجزم والتأكيد دون بينة أو دليل، وتأكيد الرأي بغطرسة أو من غير مبرر، أو وجهة نظر مبنية على مقدمات غير ممحصة تمحيصا وافيا. (المورد –قاموس عربي انجليزي، منير البعلبكي، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٠م، ص: ٢٨٧.

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ١/ ٢٥٧.

(٣) العرق الآري هو عرق من الأعراق التي يعود إليها الشعب الألمان ، وكان الاعتقاد السائد عند زعماء مثل ألمانيا بتفوق هذا الجنس على غيره، حيث وضع هتلر قوانين لحماية الدم الآري من الاختلاط بالدماء الأخرى. (أنظر لمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١/٢٥٧).

(٤) أضواء على التَّعَصُّب: مجموعة من المؤلفين والكلام لحسن حنفي، ص ١٧٥ – ١٧٦.

قال ابن القيم تحت باب (إخراج المتعصب عن زمرة العلماء) معلقًا على قوله – تعالى-: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون:٥٣] [المؤمنون: ٥٣]: "جعلوا التَّعَصُّب للمذاهب دياناتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون"(١).

وما أحسن ما قاله العلامة الشوكاني في تفسيره عن المتعصب: "والمتعصب وإن كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق غفلةً منه وجهلاً بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح، وتلقِّي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم، وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع؛ فإنه صار بها باب الحق مرتجّاً، وطريق الإنصاف مستوعرة، والأمر لله – سبحانه – والهداية منه"(٢).

وللتسامح حدود

لا بد من الحذر من التسامح حينما يكون في غير موضوعه، فقد يستغل بعض الناس تسامح المسلمين لإدخال ما يهدموا به فكر أبناء الأمة الإسلامية، وهذا أصبح تسامحا سلبيًا، فلا بد من الاحتراس والحذر من ذلك، وقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} [النساء:٧١] ، وقال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم:٩] . وقال: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا

(١) إعلام الموقعين لابن القيم: ١/ ٧.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواة والدراية: ٢/ ٢٥٤.

تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة:١٠٩].

لذلك فإن "النقد الحاصل للتعصب الديني يقوم على أسس واهية، فقبل كل شيء ينبغي أن يكون مفهومًا تمامًا أن التسامح له حدوده، فهل كان التسامح موجود بلا حدود ؟ وكذلك التَّعَصُّب أيضا هل كان يحدث دون أدنى معارضة ؟ فالتسامح هو فضيلة فكرية ولكنه ليس كذلك على إطلاقه.

فلو كانت حياة الفرد مهددة غير آمنة فإنه لا يستطيع أن يعطي التسامح ويمارسه ببساطة، ولو كان استقرار الحكم مهددًا في دولة ما بالخيانة والانقلاب فإن ممارسة التسامح فيها لا يمكن أن يتصور بسهولة.

فحتى (برتراندراسل)(١) فإنه يقول: إن الديمقراطية لا تستطيع أن تسمح بفوز الشيوعية بصوت –ديمقراطي– واحد"(٢).

ومن هنا يوجه المستر (ناتانيل مايكليم) نداء للحكومة البريطانية يقول: "من واجب الحكومة البريطانية حفاظًا على الوحدة القومية أن تلتزم سياسة الحذر الدائم نحو حرية الفكر وحرية الكلمة، إذ أن رسالة التعليم هي خلق المواطن الصالح الجدير بأن يأخذ مكانه في مجتمعنا الذي يعيش على التقاليد، فالمدارس الشيوعية اذا

---

(١) برتراندراسل: فيلسوف بريطاني ، حاز عام ١٩٥٠ على جائزة نوبل للأدب تقديراً لكتاباته المتنوعة والمهمة والتي يدافع فيها عن المثل الإنسانية وحرية الفكر. (انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٦٣/١١).

(٢) الإسلام والتَّعَصُّب: ص ٢٥ – ٢٦.

أدخلت تعاليمها في عقول أبنائنا الصغار فإنها سوف تلوث عقولهم، وتحملهم على التفكير على ما يناهض مبادئنا القومية ..."[١].

۞ ۞ ۞

(١) الإسلام والتَّعَصُّب: ص ٢٧.

المطلب الثاني: أسباب التَّعَصُّب

أولاً: الحسد والغرور وإتباع الهوى

قال تعالى واصفًا إبليس وغروره وتعصبه لجنسه: {**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**} [الأعراف:١٢] .

وقال تعالى عن تعصب فرعون لرأيه وتفكيره: {**قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**} [غافر:٢٩] .

وعَنْ مَسْرُوقٍ: قَالَ: "بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ يَعْجَبَ بِعِلْمِهِ وَبِحَسْبِهِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ"(١).

وقد روي عن النبي ﷺ: (**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ**)(٢).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد – ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام – كلام مسروق: ٢٧٦/١٩، رقم: ٣٦٠٢٣.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي – الحادي عشر من شعب الإيمان وهو باب في الخوف من الله ٢٠٣/٢، رقم: ٧٣١، وقال الألباني: حسن بمجموع الطرق (السلسلة الصحيحة: ٣٠١/٤، رقم: ١٨٠٢).

ثانيًا: الجهل والبدع والإحداث في الدين

قال تعالى واصفًا جهل النصارى وما قادهم إليه: {**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**} [الحديد:٢٧].

وقال تعالى عن حال المشركين وتعصبهم: {**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [الأنعام:١٠٨] .

والجهل سبب كل بلوى، والجالب لكل محنة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ –رضي الله عنهما– قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**)(١) .

وفي ذلك يقول قتادة –رحمه الله: "لعمري لو كان أمر الخوارج هُدىً لاجتمع، ولكنّه كان ضلالاً فتفرق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافًا كثيرًا"(٢).

---

(١) صحيح البخاري – كتاب العلم – باب: كيف يقبض العلم – حديث: ١٠٠ ، (٣١/١).

(٢) تفسير الطبري: ١٨٨/٦.

وقال الشاطبي –رحمه الله–: "والفرقة من أخص أوصاف المبتدعة لأنه خرج عن حكم الله وباين جماعة أهل الإسلام"(١).

ثالثًا: تقديس البشر والغلو فيهم

قال تعالى عن النصارى وغلوهم في رهبانهم وأحبارهم: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١] .

وقال تعالى آمرا عباده طاعته وطاعة رسوله ورد الاختلافات إلى الله ورسوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩] .

وقد كان السلف يذمون التَّعَصُّب للشيوخ والعلماء، قال الإمام مالك –رحمه الله–: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق السنة من ذلك فاتركوه"(٢).

وقال الشافعي –رحمه الله–: "وَلاَ يَجُوزُ لِعَالِمٍ أَنْ يَدَعَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ سِوَاهُ"(٣).

ولهذا وصف ابن قيم الجوزية أهل العلم والعدل والقسط بكونهم: " زاهدين في التَّعَصُّب للرجال، واقفين مع الحجة والاستدلال، يسيرون مع الحق أين سارت

---

(١) الاعتصام للشاطبي، ١/١٩٨.

(٢) الموافقات للشاطبي: ٥/٣٣١.

(٣) الأم للشافعي: ٨/٧٤١.

ركائبه، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه، إذا بدا لهم الدليل بأخذته طاروا إليه زرافات ووحداناً، وإذا دعاهم الرسول إلى أمر انتدبوا إخراج المتعصب عن زمرة العلماء إليه ولا يسألونه عما قال برهاناً"[١].

رابعًا: إثارة المسائل الخلافية

ففي سنة (٤٤٧ هجرية) حدثت فتنة بين الحنابلة والشافعية الأشاعرة ببغداد، كان من أسبابها جهر الشافعية بالبسملة في الصلاة، فانقسمت العامة بين مؤيد ومخالف لهم، ثم انحازت كل طائفة إلى الطرف الذي مالت إليه، ولم تفلح مساعي ديوان الخليفة في التوفيق بين الفريقين وبقي الخلاف قائما، ثم توجه الحنابلة إلى أحد مساجد الشافعية، ونهوا إمامه عن الجهر بالبسملة، فأخرج مصحفا وقال لهم: (أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها)، ثم تطور النزاع إلى الاقتتال، فتقوى جانب الحنابلة وتقهقر جانب الشافعية الأشاعرة، حتى أُلزموا البيوت، ولم يقدروا على حضور صلاة الجمعة ولا الجماعات، خوفا من الحنابلة[٢].

ومسألة ثانية – التي أثارت التَّعَصُّب- هي قراءة دعاء القنوت في صلاة الصبح، وهي أيضا اختلف فيها الفقهاء، فقال المالكية والشافعية إنها سنة، وقال الحنابلة والحنفية أنها ليست سنة، فأحدث ذلك تعصبا مذهبيا بين السنيين[٣]، وكان من أسباب فتنة (٤٤٧ هجرية) بين الحنابلة والأشاعرة . وهذا الخلاف هو الذي جعل

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم: ٧/١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٦٣/٨ . وابن الأثير: الكامل، ٦١٢/٩ . في أحداث سنة ٤٤٧هـ ، وابن كثير: البداية والنهاية: ٧٣/١٢ طبعة دار الحديث. وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر: ١٤٧/٢.

(٣) ابن الجوزي: التحقيق في أحاديث الاختلاف: ٤٥/١، ٤٥٩. ونصب الراية: ١٣٦/٢.

ابن الجوزي يتهم الخطيب البغدادي بالتَّعَصُّب والتعمد في استخدام الأحاديث الضعيفة في مسألة دعاء القنوت، تأييدا لمذهبه الشافعي في هذه المسألة(١).

خامسًا: الحمية الجاهلية

فالحمية ربما تأخذ بعض الناس إلى التَّعَصُّب لقومه أو لجماعته:

ويتبين ذلك حينما استعذر النبي ﷺ من أبي بن أبي سلول، فقال: (**مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**) فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا وَاللهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ(٢).

فإن الحمية هنا حملت سعد بن عبادة رضي الله عنه إلى المدافعة عن قومه، وإلا فهو رجل صالح من أصحاب النبي ﷺ كما عبرت السيدة عائشة رضي الله عنها (وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ) ولكن سرعان ما ثاب ورجع الطرفان إلى الله ورسوله ﷺ.

(١) ابن الجوزي: التحقيق في أحاديث الخلاف، ١/٤٦٢ وما بعدها .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الشهادات – باب تعديل النساء بعضهن بعضا – حديث: ٢٦٦١، ٣/١٧٣.

سادسًا: غياب فقه الخلاف وأدب الحوار

فإن الجهل بفقه الخلاف وأدب الحوار من أكبر أسباب التنازع والفرقة، ذلك لأن الاختلاف بين البشر أمر طبيعي، لكن لا بد من وجود فقه للتعامل مع الخلاف: يقول الشاطبي –رحمه الله-: "فالجهل من أسباب التفرق، وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت"[(١)].

فلا بد إذًا من نشر العلم الشرعي، وتفقيه الناس بدينهم، لرفع الجهل الذي يؤدي إلى التفرق والتنازع والعصبية.

ومن أنواع العلم الضروري التي يتوجب على العلماء بثه بين الناس في حال تنازع واختلاف المسلمين هو فقه الخلاف، فقد تحدث أهل العلم كثيرًا عن هذا النوع من العلم، حرصًا منهم على سلامة الأمة من الاختلاف والتنازع، فقد وضعوا أصولاً وقواعد يمكن من خلالها تجنب أي فرقه قد تنتج عن اختلاف الرأي والاجتهاد.

فهذا ابن تيمية –رحمه الله- قد أصَّل لفقه الاختلاف، فقال: "الاختلاف نوعان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد:

فاختلاف التنوع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين، أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما في القراءات التي أختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم عن الاختلاف رسول الله ﷺ، وقال: "كلاكما محسن"[(٢)]. ومثله اختلاف الأنواع في

---

(١) انظر: الاعتصام: الشاطبي، ٣/١٤٥.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الخصومات- باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود – ٣/١٢٠: ٢٤١٠.

صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه، وإن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل.

وأما اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما في الفروع - عند الجمهور الذين يقولون: "المصيب واحد" وإلا فمن قال: "كل مجتهد مصيب" فعنده: هو من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، فهذا الخطب فيه أشد، لأن القولين يتنافيان(١).

فهذا تأصيل منه –رحمه الله– لهذا النوع المهم والضروري من الفقه، وليس المقام مقام مزيد من التفصيل(٢).

سابعًا: الشعور بالظلم وعدم المساواة

فقد امتعض الأنصار يوم أن أعطى النبي ﷺ المهاجرين من الغنيمة ولم يعطهم، فشعروا بشيء في نفوسهم، فبين لهم النبي حقيقة الأمر، فسرعان ما رضوا وفرحوا، ولكنها هي النفس البشرية الضعيفة.

فقد روى أَنَس بن مالك ﷺ قال: قَالَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَأَعْطَى قُرَيْشًا وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ إِنَّ سُيُوفَنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ قُرَيْشٍ وَغَنَائِمُنَا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَدَعَا الْأَنْصَارَ قَالَ فَقَالَ: (**مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟**) وَكَانُوا لَا يَكْذِبُونَ فَقَالُوا: هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ. قَالَ: (**أَوَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالْغَنَائِمِ إِلَى**

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية، ٣٨.

(٢) للمزيد يرجع لبحث: دور العلماء في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف: من اعداد الباحث نفسه، مؤتمر العلماء واقع وآمال – غزة – جمعية القدس للبحوث والدراسات الاسلامية: ص ٢٠.

بُيُوتِهِمْ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى بُيُوتِكُمْ ؟! لَوْ سَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَهُمْ)[1].

فسرعان ما بانت الحقيقة، ورضي الأنصار وأخبتوا لله ورسوله، بل وابتلت لحاهم من البكاء لما عرفوا من الحق.

وهنا: يذكر بعض الباحثين من أسباب التَّعَصُّب العامل الاقتصادي: "فالتَّعَصُّب تبع لهذا التفسير، لا يعدوا أن يكون مظهرًا من مظاهر استغلال الإنسان للإنسان، سواء في المجتمع الزراعي أم في المجتمع الصناعي، إنه التبرير الأيديولوجي للاضطهاد الواقع على فئات معينة يستغل المجتمع طاقتها دون أن يمنحها حقوقها المشروعة"[2].

ثامنًا: الاعتماد على الأحاديث الموضوعة

فقد وضعت أحاديث تمدح مذاهب معينة، أو جماعات معينة، أو تذمها، قاصدين بذلك الكيد السياسي، أو التنظير وحشد الأتباع للجماعات والمذاهب. ما أدى الى تعصب كل فريق أو جماعة الى جماعته، ومن ذلك ما وضعه غلاة المذاهب وجهلتهم من أحاديث في مدح الأئمة الأربعة أو أحدهم أو في ذمهم أو ذم أحدهم:

ومن ذلك: روايات تفاضل بين المذهب الحنفي والشافعي وتطعن في الإمام الشافعي -رحمه الله- وذلك مثل رواية: «يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب مناقب الأنصار - حديث: ٣٧٧٨، ٥/٣٠.

(٢) أضواء على التَّعَصُّب: مجموعة من الباحثين والكلام لفؤاد زكريا ص: ١٦٩.

إدريس أضر على أمتي من إبليس، ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي»[١].

وهذا هو ديدن أهل الأهواء؛ فإنهم يستجيزون الكذب على رسول الله ﷺ نصرة لمذهبهم، وترويجًا لبضاعتهم، وهذا ما كانت تفعله الخوارج ونحوهم من أهل الأهواء، قال ابن لهيعة: سمعت شيخًا من الخوارج تاب ورجع وهو يقول: «إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمرًا صيرناه حديثًا»[٢].

قال بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) مشيرا الى هذا السبب من أسباب التَّعَصُّب: "نعوذ بالله من العصبية، فإن مصنف هذا الكتاب – وهو أحد المحدثين- لا يخفى عليه أن هذا الحديث موضوع"[٣][٤].

أسباب أخرى

ويذكر الاخصائيون النفسيون عوامل أخرى من أسباب التَّعَصُّب منها السمات الشخصية والبيئة المحيطة، والخبرات التعلمية:

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد: ٣٠٨/٥، عن أبي هريرة ﷺ، وقال: ما كان أجرأ هذا الرجل – أحد رواته وهو محمد بن سعيد البورقي- على الكذب. وأخرجه ابن حبان في المجروحين ٤٦/٣ عن أنس وقال: من حدث بهذه الأحاديث أو ببعضها يجب أن لا يذكر في جملة أهل العلم. وقال الذهبي عن حديث أنس: فيه دجالان. أحاديث مختارة للذهبي: ١١٢، وانظر: الفوائد المجموعة: ١٨٥.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي: ١٨١/١.

(٣) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني: ج ٤ ص: ٤٦٢.

(٤) للمزيد عن خطورة الروايات الواهية وأثرها انظر بحث: الروايات الواهية ودورها في فرقة الامة سياسيا، للباحث نفسه، مؤتمر الروايات الواهية وخطرها على الإسلام – كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية ، ص ٢٣.

منها: أن اتجاهات التَّعَصُّب مثلها مثل سائر الاتجاهات والميول والقيم الأخرى يمكن تعلمها، وبعض ثان أقر بوجود أسس معرفية وراء تكوين هذه الاتجاهات، وبعض ثالث يقر بأن سمات شخصية للمتعصبين هي المسئولة عما ينمو لديهم من اتجاهات تعصبية، وركز بعض رابع على أن أحداث الحياة الواقعية وما يكتنفها من صراع وتنافس هي التي تقود الأشخاص إلى تبني التَّعَصُّبية[١].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الاتجاهات التَّعَصُّبية: تأليف د. معتز سيد عبد الله، ص ١٢٤.

المطلب الثاني: مظاهر التَّعَصُّب

مظاهر الشخصية العصبوية

يذكر المختصون أن هناك ثلاث معايير يتم من خلالها الحكم على الشخصية بالعصبوية، وهي:

الأول: معيار اللاعقلانية، والذي يعني اصدار الاحكام بدون أدلة وبراهين عقلانية.

أما الثاني: فهو معيار العدالة، الذي يشير الى عدم العدل بين الناس، والانزلاق في مشكلة التمييز بين فرد وآخر والتحيز.

والثالث: هو معيار عدم الرضا عن الآخرين ورفضهم، والذي يؤدي إلى الانحراف واللامبالاة، التي تنتهي بعداوة تجاه الآخرين(١).

مظاهر التَّعَصُّب

للتعصب مظاهر كثيرة، يمكن أن نذكر منها(٢):

أولاً: السب والطعن في الخصوم

ومثاله ما جاء عن الراوي سهل بن أحمد الديباجي (ت ٣٣٠هـ)، قال فيه بعض علماء الجرح والتعديل: كان رافضيًا خبيثًا، كتب على حائط داره: لعن الله أبا

(١) التَّعَصُّب دراسة نفسية اجتماعية، معتز سيد عبد الله: ص ٦٢ -٦٣.

(٢) التَّعَصُّب المذهبي: خالد كبير علال: ص ١٧ مختصرًا.

بكر وعمر، وباقي الصحابة العشرة –أي المبشرون بالجنة– إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

ومنه ما ذكره ابن تيمية أيضا، فقال إن بعض الرافضة، يعمدون إلى نعجة حمراء يسمونها عائشة، ثم ينتفون شعرها. ويعمد آخرون إلى دواب يسمون بعضها أبا بكر وأخرى عمر، ثم يضربونها بغير حق[2].

ثانيًا: التكفير المتبادل

ومنه تكفير الشيعة للصحابة ولكل من يخالف المذهب الشيعي، والشواهد على ذلك كثيرة، أولها إن الشيعي عمرو بن ثابت الكوفي (١٧٢هـ) كان يسب السلف ويقول: "كفر الناس بعد رسول الله ﷺ إلا أربعة"[3].

وشاهد آخر هو ما ذكره الشيخ تقي الدين بن تيمية –رحمه الله– عن بعض عقائد الشيعة، فقال: إن الرافضة–أي الشيعة– شر من الخوارج، لأنهم يُكفرون الصحابة وجماهير المسلمين، ويُكفرون أيضًا من يُثبت لله تعالى صفاته التي أثبتها لنفسه سبحانه. كما أنهم اتهموا صحابة رسول الله بتبديل الدين إلا قلة منهم[4].

ثالثًا: القتل أو محاولات القتل

منها ما فعله الشيعة العُبيديون بالسنيين في دولتهم، فكان ملكهم عبيد الله المهدي (٢٦٧-٣٢٢هـ) مستحلاً لدماء أهل السنة: قَالَ أَبُو الحَسَنِ القَابِسيُّ،

(١) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: ١٢١/٩.

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية: ٧٤/٤.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي: ٣٠٢/٥.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٣٥٦/٣، ٣٥٧.

صَاحِبُ (الملخَّص): إِنَّ الَّذِيْنَ قَتَلَهُم عُبَيْدُ اللهِ، وَبنوهُ أَرْبَعَة آلَافٍ فِي دَارِ النَّحْرِ فِي العَذَابِ مِنْ عَالِمٍ وَعَابِدٍ لِيَرُدَّهُمْ عَنِ التَّرَضِّي عَنِ الصَّحَابَةِ، فَاختَارُوا الموْتَ[1]. وكان ملكهم عبد الله العاضد (٥٥٥-٥٦٧هـ) سبابًا خبيثًا إذا رأى سنيًا استحل دمه[2].

رابعًا: الفتن المذهبية بين الشيعة والسنة

ومنها ما حدث بين السنة والشيعة ببغداد سنة (٤٤) هجرية، عندما أعاد الشيعة كتابة: محمد وعلي خير البشر، على مساجدهم، وأذنوا بحي على خير العمل؛ فأنكر عليهم أهل السنة ذلك، واندلع القتال بين الطائفتين، فأَحرقت الدور، وقُتل من الجانبين خلق كثير، من بينهم (٣٠) امرأة بسبب الازدحام خوفًا من النيران، وقد تسلّط على الشيعة عيار-لص- سني يُعرف بالقطيعي، فلم يقر لهم معه قرار، وقتل أعيانهم جهارًا وغيلة، وكان في غاية البأس والشجاعة والمكر، فكان ذلك من جملة الأقدار على حد قول الحافظ ابن كثير[3].

خامسًا: الفتن المذهبية بين الطوائف السنية

وذلك مثلما حدث بمدينة مرو ببلاد خُراسان بين الشافعية والحنفية، عندما غيّر الفقيه منصور بن محمد السمعاني المروزي (ت ٤٨٩هـ) مذهبه، فقد كان حنفيًا مدة ثلاثين سنة، ثم تحوّل إلى المذهب الشافعي، وأعلن ذلك بدار الإمارة بمدينة مرو بحضور أئمة الحنفية والشافعية، فاضطرب البلد لذلك، وهاجت الفتنة بين الشافعية والحنفية، ودخلوا في قتال شديد، وعمّت الفتنة المنطقة كلها، حتى كادت تملأ ما بين

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/١٤٥.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٩/٢٧٤.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ١٢/٦٢، ٦٣.

خُراسان والعراق، لكن السمعاني ظل ثابتًا على موقفه ولم يتراجع عنه، لكنه اضطر إلى الخروج من مدينة مرو، والانتقال إلى مدينة طوس، ثم إلى نيسابور، ثم عاد إلى مرو بعد سكون الفتنة(١).

سادسًا: تقديس الأئمة

ومنه أن الفقيه مُسعر بن كِدام (ت ١٥٥هـ) كان يقول: "جعلتُ أبا حنيفة حجة بيني وبين الله تبارك وتعالى"، فقيل له: "لقد استوثقت لنفسك"(٢). وقوله هذا فيه مبالغة شديدة، لأنه لا يُوجد لله حجة بينه وبين خلقه إلا كتابه، وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- الصحيحة.

سابعًا: الغلو في العقائد والمذاهب

ومثاله -من غلو الشيعة وتطرفهم- زعمهم بأن أئمتهم -الاثني عشر- معصومون من الخطأ(٣)، وأن كلامهم شرع مُقدس يجب إتباعه، والإيمان بهم واجب، ومن أنكر واحدًا منهم فهو كافر، قال ابن تيمية: "وَأَكْثَرُهُمْ -أي الرافضة- يُكَفِّرُ مَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَيُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ خَالَفَهُمْ كُفَّارًا وَيَجْعَلُونَ مَدَائِنَ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَظْهَرُ فِيهَا أَقْوَالُهُمْ دَارَ رِدَّةٍ أَسْوَأَ حَالًا مِنْ مَدَائِنِ الْمُشْرِكِينَ وَالنَّصَارَى وَلِهَذَا يُوَالُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ عَلَى بَعْضِ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ"(٤). حتى أن

(١) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية: ابن قاضي شهبة، ١/٢٧٣.
(٢) طبقات الحنفية لابن أبي الوفاء: ٢/٥٦٣.
(٣) مجموع الفتاوى: ١١/٦٧.
(٤) مجموع الفتاوى، ٣/٣٥٦.

الخميني قال في كتابه الحكومة الإسلامية: "وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مُقرّب، ولا نبي مُرسل"[1].

ثامنًا: حرق كتب المخالفين تعصبًا للمذهب

حدثت في تاريخنا الإسلامي عدة وقائع أُحرقت فيها كُتب المخالفين تعصبًا عليهم وانتصارًا للمذهب، فكان ذلك مظهرًا من مظاهر التَّعَصُّب المذهبي، ومنها ما يأتي:

أولها ما حدث لكتب أبي محمد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ)، فبسبب الخصومة التي كانت بينه وبين فقهاء المالكية بالأندلس جعلتهم –أي الخصومة– يمقتوه ويحرقون كتبه علانية، حتى قال ابن حزم في ذلك: فإن يحرقوا القرطاس، لا يحرقوا الذي تضّمنه القرطاس، بل هو في صدري[2].

والحادثة الثانية ما جرى لكتب حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) بالمغرب الإسلامي زمن دولة المرابطين (٤٥١–٥٤١هـ)، وذلك أن السلطان علي بن يُوسف بن تاشفين أمر بإحراق كتب الغزالي، وهدد بقتل ومصادرة أموال كل من وُجدت عنده مصنفات الغزالي أو بعض منها[3]. وكان القاضي عياض (٥٤٤هـ) من بين الذين طالبوا بحرق كتب الغزالي، ويبدو أنهم فعلوا ذلك لما وجدوه فيها من مقالات كلامية وأشعرية وفلسفية وصوفية، تخالف ما هم عليه من مذهب السلف وأهل الحديث في أصول الدين[4].

---

(١) الحكومة الإسلامية، ص: ٥٢.

(٢) لسان الميزان لابن حجر: ج ٥ ص: ٤٩١.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٦/٢١٩.

(٤) أنظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ج ٤ ص: ١٣٩ .

تاسعًا: تعمُّد رواية الأكاذيب وتحريف الأخبار

منهم المتكلم المعتزلي عمرو بن عبيد البصري (ت قرن: ٢هـ)، كان يكذب في رواية الأحاديث، ويكذب على الحسن البصري[١].

ومنهم الفقيه المالكي أصبع بن خليل القرطبي (ت٢٧٢هـ)، دفعه تعصبه لمذهبه إلى الكذب على الرسول-عليه الصلاة والسلام- باختلاف حديث ونسبه إليه[٢].

ومثال ثالث هو الشيعي أبو الجارود زياد بن المنذر الثقفي، كان يختلق الأحاديث في مثالب الصحابة، وينسب لآل البيت فضائل لا أصل لها[٣].

عاشراً: إنشاء المدارس المذهبية المتعصبة

فبخصوص الحنفية، فقد كانت لهم مدارس كثيرة خاصة بهم، ببغداد ودمشق ومصر، وغيرها من أمصار المشرق الإسلامي، منها المدرسة الخاتونية، والمدرسة الإقبالية بدمشق، وكان لهم بها أكثر من ٥٠ مدرسة[٤]. وكانت لهم مدرسة بمدينة سنجار بناها لهم الملك قطب الدين محمد (ت٥٩٤هـ)،- كان شديد التَّعَصُّب للحنفية- اشترط فيها أن يكون النظر فيها للحنفية من أولاده دون الشافعية منهم، وأن يكون البواب والفراش على المذهب الحنفي[٥].

(١) كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي:، ج ٣ ص: ٩٩٤.
(٢) لسان الميزان لابن حجر، ج ٢ ص: ٢٠٥.
(٣) كتاب المجروحين لابن حبان: ج ١ ص: ٣٠٦.
(٤) انظر: عبد القادر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ٣٦٢/١.
(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٢ ص: ٣٣١.

الحادي عشر: محن أصابت العلماء بسبب التَّعَصُّب

منها ما أصاب الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت قرن:٤هـ)، فإنه لما كان متشيعًا مظهرًا لذلك، منحرفًا مغاليًا في معاوية بن أبي سفيان وآل بيته، تعصّب عليه الكرّامية بنيسابور، ومنعوه من الخروج إلى المسجد، وحصروه في داره، وكسروا منبره بالمسجد الذي يصلي فيه ؛ فدخل عليه الصوفي أبو عبد الرحمن السلمي وقال له: لو خرجتَ وأمليتَ في هذا الرجل –أي معاوية– حديثا لاسترحتَ من المحنة، فقال له: لا يجيء من قلبي، لا يجيء من قلبي[(١)].

ومنها هي محنة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، فإنه لما أظهر مذهب السلف في الصفات، وأفتى مجتهدًا في مسائل فقهية كثيرة، وأظهر انتقاده الشديد للصوفية الاتحادية المنحرفين، تعصب عليه جماعة من الأشاعرة والفقهاء والصوفية، ورفعوا أمره إلى السلطان، وأفتي بعضهم بضلاله وكفره، وأدخلوه السجن عدة مرات، كان آخرها سنة (٧٢٦) هجرية، فبقي مسجونًا نحو عامين، ولم يتركوا –أي خُصومه– له دواة ولا قلمًا ولا ورقة، فبقي بعد ذلك أشهرًا مُقبلاً على العبادة حتى تُوفي في سجنه –رحمه الله تعالى–[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) السير للذهبي: ١٧/١٧٥.

(٢) الدرر الكامنة لابن حجر: ١/١٦٩، ١٧٠.

المبحث الثالث

علاج مشكلة التَّعَصُّب

أمور مهمة قبل العلاج

يذهب بعض الباحثين في مسألة التَّعَصُّب إلى أنه من الضروري أن يسبق العلاج أمور مهمة، وأن يزال من العقول أن الجهل هو فقط سبب التَّعَصُّب، وأن تعلم بضع سنين كاف لإزالة التَّعَصُّب، ويصور من يريد علاج التَّعَصُّب بالتعليم فقط هو بمثابة من يريد شفاء الجنون أو الطاعون بواسطة تعليم المصاب بها في المدارس ! ويرى أن بعض المتعلمين قد يكون أكثر تعصبًا من غير المتعلمين.

شروط الشفاء ثلاثة

الأول: أن يشعر المصاب بأنه مريض، فكثيرًا ما شاهدنا مرضى بالدرجة الاولى من السل الرئوي وهم يحسبونها زكامًا بسيطًا، ويضيف قائلاً: دُعينا مرة لمعالجة مجنون، فلما دخلنا المنزل حيانا المصاب أحسن تحية، وأجلسنا بجانبه، ثم أفادنا أنه بحمد الله على أحسن حال من صحة العقل والجسد، ورجانا أن نفحص والده لأنه مصاب باختلال في عقله!!.

الثاني: أن يكون راغبًا في الشفاء: لأن بعض الأعلاء لا يريدون الشفاء من بعض الحالات المرضية وخصوصًا إذا صحبتها لذة.

الثالث: أن يستعمل العلاجات التي يأمر بها الطبيب، فمما لا مندوحة عنه لنيل الشفاء لأن مرضنا عضال ودواؤنا عقام، فإذا أحببنا الشفاء وجب علينا الجري على نواميس الطبيعة والشرائع العمرانية دون تأجيل أو إبطاء.

ولذا فهو يرى أن التَّعَصُّب مرض في الأخلاق وليس جهلا في العقول فقط[1].

إلى هنا ليس بالإمكان مخالفة الكاتب في حديثه عن مقدمات العلاج هذه، فهو يتحدث عن شروط العلاج –أي علاج التَّعَصُّب الديني– فيما يبدو من منطلق خبرة ودراية، إلا أنه بعد هذه الأسطر مباشرة يشطح شطحة كبيرة، لا يمكن السكوت عنها، فيذكر الكاتب أن من طرق العلاج: (العلاج بطريق التحويل) بمعنى أن نُحدث في الأمة تعصبًا آخر يقابل التَّعَصُّب الديني وبالتالي يصرف وجوه الناس إليه، ويقترح أن يكون هذا التَّعَصُّب هو (تعصب للجنسية والوطن) لتكون بديلاً عن التَّعَصُّب الديني![2].

حقيقة أن هذا هو الحور بعد الكور، وهو الضلال بعد الهدى، وهو الجهل بعد العلم، إنه –وللأسف– يعالج التَّعَصُّب بتعصب آخر، فهو كمن يعالج السم بسم آخر، أو يعالج الخطأ بالخطأ المماثل أو الأشد خطرًا !

فعن الوطنية وفرضها بديلاً عن التَّعَصُّب الديني –كما يطرح الكاتب–، يقول الغزالي مفندًا مثل هذه الشبه، وينسف الوطنية التي تكون على حساب الدين: "نحن نفهم أن يحتشد المواطنون صفًا واحدًا لمقاومة خصم لدود، لكننا لا نفهم أبدًا أن يتم ذلك على حساب الإسلام. فبأي وجه، ولأي حكمة تجرح عقائدهم، ويلوث تاريخهم، وتصور رسالتهم على أنها نهضة ظهرت في العصور الوسطى ثم اختفت .. وأن تطور الزمن وارتقاء الحياة يجعل الحديث عن العمل بها لغوا ؟!"[3].

---

(١) انظر: أضواء على التَّعَصُّب: مجموعة من المؤلفين والكلام لخليل سعادة، ١٣٥ – ١٣٦ مختصرا.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ١٣٧ – ١٣٨ مختصرا.

(٣) التَّعَصُّب والتسامح بين الإسلام والمسيحية: محمد الغزالي: ص: ١٨.

لذلك فالتَّعَصُّب مذموم بكل أنواعه، وبكل صوره، سواء كان للمذهب أو للجنس أو اللون أو اللغة أو الوطن، فهذه كلها عصبية وحمية من حمية الجاهلية.

من أسس العلاج: حب الحقيقة والسعي إليها

فقد "أتى النبي محمد ﷺ بشريعة تبناها العرب وأقوام أخرى غير العرب، وقد رافق الإصلاح هذا انطلاق القوى الكامنة في النفوس العربية حتى غمر الفيض العالم القديم بأسره، وأقر العرب العرفان لصاحب الاصلاح وأصبحت حياة الرسول قدوة لكل مسلم ينظم على مثاله حياته الخاصة. ولكن هل مظاهر حياة الرسول على نفس المستوى؟ هناك الأخلاق وهي مقومات إنسانية الإنسان أكثر بقاء على الدهر من آداب السلوك وهناك وسائل العمل في السيطرة على ظروف البيئة، يقول الرسول ﷺ نفسه في ثبوت الأخلاق: (**الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام**)[1]، ولكن الرسول حين يعيب لأحد سلوكه يقول له: (**أنت امرئ فيك جاهلية**)[2]، وهكذا كان الرسول يميز بين ما هو ملازم للإنسان وبين ما هو ضار له، بين مقومات انسانية الانسان وبين ما يتعلق بالمكان والزمان من الآداب. وما هي الصفات المقومة لإنسانية الإنسان ؟ حب الحقيقة، الحب الذي يدعو إلى تثبته والإعلان عنها ولو تعارض ذلك مع الأهواء والمصالح الخاصة"[3].

---

(١) يشير إلى حديث (خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا – حديث: ٣٣٥٣ ، ٤/١٤٠.

(٢) يشير إلى حديث: ((يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية)) أخرجه البخاري: صحيح البخاري – كتاب الإيمان – باب: المعاصي من أمر الجاهلية – حديث:٣٠ ، ١/١٥.

(٣) أضواء على التَّعَصُّب: مجموعة من المؤلفين: والكلام لـ: زكي الأرسوزي، ص ١٤٩.

وأما العلاج فيتمثل في أمور عديدة(1)

أولها: إخلاص النية الصادقة لله تعالى في طلب الحق وترك الباطل، والابتعاد الكلي عن التَّعَصُّب الأعمى للمذاهب والأشخاص .

وثانيها: الخضوع التام لأحكام الشرع الحكيم، والتسليم المطلق له في كل ما يقرره، انطلاقًا من الفهم الصحيح له، بلا تأويل ولا تحريف، ولا إغفال ولا مبالغة .

والحل الثالث: هو أن يكون مرجعنا في أفعالنا وأقوالنا، وأحكامنا وخلافاتنا الشرع الحكيم المتمثل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الصحيحة -عليه الصلاة والسلام – لأن الله تعالى لم يتعبدنا بإتباع العلماء ولا الأعيان ولا الحكام، وإنما تعبّدنا بإتباع كتابه وسنة نبيه-عليه الصلاة والسلام-، فإذا ما تعارضت أقوال البشر وأفعالهم مع الشرع رُفضت مهما كان قائلها .

والحل الرابع: هو التعامل الإيجابي مع تراثنا الإسلامي - على اختلافه وتنوّعه- بأن ننظر إليه نظرة شمولية متوازنة نافعة، بلا إقصاء ولا إغماط، وبلا تقزيم ولا مبالغة، وبلا تعصب أعمى، فنستفيد من إيجابياته — وما أكثرها — فنأخذ بها، ونعتبر بسلبياته —وما أكثرها أيضًا- فنتعلم منها ونتجنبها، بلا مخاصمات ولا مزايدات .

والحل الخامس: هو الحرص والسعي الجاد لإيجاد إرادة تغيير لدي السياسيين والعلماء والجماهير الإسلامية لتقبل مشروع مقاومة التَّعَصُّب المذهبي، على مستوى الأفكار والمشاعر والأفعال .

---

(1) التَّعَصُّب المذهبي: د. خالد كبير علال: ص ١٧٠ — ١٧٦ مختصرًا.

ومن الناحية العلمية؛ لا بد من أمور

أولها: السعي الجاد لإيجاد فقه عام مُيسر خال من التَّعَصُّب المذهبي للمذاهب والأشخاص، يقوم أساسًا على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة الصحيحة مباشرة.

وثانيها: جمع المسائل الفقهية المختلف فيها بين العلماء والمذاهب، وتحريرها تحريرًا علميًا موضوعيًا نزيهًا صحيحًا، بلا تعصب للمذاهب والأشخاص، للخروج باتفاق يُرضي كل الأطراف.

والحل الثالث: هو العمل لإحياء منهج الأئمة الأربعة في الاجتهاد الفقهي القائم على الدليل، لا على التقليد والتمذهب والتَّعَصُّب، وتبليغ ذلك لأتباعهم المتعصبين لهم، بأن أئمتهم ما دعوا إلى تقليدهم ولا التَّعَصُّب لهم .

والحل الأخير –أي الرابع– حرص أهل العلم على الاجتهاد الحر والحث عليه، والتأكيد على أن التقليد هو عجز وسلبية، وأن باب الاجتهاد مفتوح لا يصح غلقه ولا يستطيع أحد غلقه–بعدما فتحه الشرع وحث عليه–، على أن يطرقه من هو أهل له.

ومما يتعلق بالعلاج التربوي(١)

منه: تشجيع الاختلاط بين البشر لإزالة الفوارق التي تنتج عن جهل الناس بعضهم ببعض.

ومنه: التعليم التعاوني بين طلاب العلم، وذلك بتعاونهم لفهم مشاكل معينة.

---

(١) انظر: الدور التربوي للجامعات الفلسطينية في محاربة التَّعَصُّب لدى طلبتها: رسالة ماجستير، يوسف الداعور ٢٠١٢م، ص: ٥٩.

ومنه: بث روح التعاون بين أفراد المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية المبكرة.

ومنه: إشراك الفرد في عضوية جماعة ليس فيها تعصب ضد الجماعة التي يتعصب الفرد ضدها.

ومنه: إظهار عيوب التَّعَصُّب ومضاره، واستخدام شتى وسائل الإعلام والدعاية لذلك.

وعلى المجتمعات العلمية دور كبير: فالجامعات مثلاً عليها

تكريس مفهوم التعددية وتقبُّل الآخرين لدى طلبتها، وإقامة الندوات التي تناقش آثار التَّعَصُّب السلبية، وتشجيع مشاركة أعضاء الهيئة التدريسية في هذه الندوات والنشاطات، وإصدار النشرات بهذا الخصوص، وتشجيع موظفيها إلى التطرق عبر محاضراتهم إلى إنجازات الآخرين دون تمييز، وإقامة لقاءات ومهرجانات تناقش فيها المستجدات بمشاركة الجميع، ودفع الجامعة أعضاء هيئة التدريس لبيان الفرق بين الانتماء الإيجابي والتَّعَصُّب السلبي في المحاضرات، وسماح الجامعة لموظفيها للقيام بدراسات استطلاعية لتحديد اتجاهات الطلبة التَّعَصُّبية، وسعي الجامعة إلى بيان أهمية المساجد كمعلم ديني وليست معلم حزبي، وتشجيع الجامعة طلبتها للمشاركة في المناسبات الاجتماعية لدى المجموعات الطلابية المختلفة، ودفع الجامعة طلبتها للمنافسة في تقديم الخدمات المجتمعية أكثر من الأفكار التنظيمية، وتأكيد الجامعة لموظفيها بالعمل بعيدًا عن سياسة الحزب الواحد، وتشجيع الجامعة أعضاء هيئة

التدريس بربط الأحداث السياسية بالمساقات التدريسية بما يخدم الوفاق والسلم المجتمعي[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الدور التربوي للجامعات الفلسطينية في محاربة التَّعَصُّب لدى طلبتها: رسالة ماجستير، يوسف الداعور ٢٠١٢م، ص: ٦٩ – ٧٢ باختصار.

الخاتمة:

أهم النتائج والتوصيات

أولاً: أهم النتائج:

١- التَّعَصُّب عملية اتخاذ مفاهيم خاطئة عن جماعات معينة، وإصدار أحكام عليهم دون الارتكاز على دلائل وبراهين. وهو سيكولوجيًا نمط مكتسب ومتعلم وليس فطريًا.

٢- إبليس إمام المتعصبين، وقد عانى أنبياء الله ورسله من تعصُّب أقوامهم.

٣- يرى بعض الباحثين أن التَّعَصُّب موجود في الشرق أكثر من وجوده في الأماكن الأخرى من العالم ويعزو السبب إلى تمركز الأديان في الشرق، ويمكن أن يكون هذا الكلام صحيحًا ما لم يُقصد به إلقاء المسؤولية على الأديان، ومن ثم نبذ الأديان، ومن ضمنها الدين الإسلامي، فحينها يكون مردودًا وغير مقبول، ولا بد له من تفصيل وبيان، فالإسلام هو دين التسامح والإنصاف. ويجاب عن ذلك بأن التَّعَصُّب لا يقتصر في وجوده على بلاد الشرق، بل التَّعَصُّب موجود في كل مكان يوجد به الجهل والكفر، ففي أمريكا وإلى عهد قريب كان التَّعَصُّب لِلَّون، وفي ألمانيا كان التَّعَصُّب للجنس والعِرْق، وغيرِ ذلك.

٤- تشير بعض الدراسات إلى أن العصبية بنية المجتمع العربي: حيث أن الولاءات القبلية كانت أكثر الولاءات رسوخًا في الحياة العربية، كانت وحدة القبيلة في المجتمع الجاهلي تنم عن فئوية دموية جامحة، فكانت بكل جوانبها موضع اهتمام وافتخار، تحت مفهوم: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا.

٥- عاش المسلمون في الفترة الأولى من حكم الخلفاء الراشدين في أمان سياسي واجتماعي واقتصادي، ولكن هذه المرحلة لم تدم طويلا نتيجة دخول الأعاجم في بلاد الإسلام وجهلهم بأحكامه، ومن هذا الوقت بدأت فترة الفتنة التي نشأت بسببها أغلب الفرق الاسلامية، ومنها فرقة الخوارج ومن ثم بعدها حدثت انقسامات كثيرة، حيث كانت هذه نقطة أساسية لظهور الفرق والأحزاب لاحقًا. فظهرت العصبية الأموية ثم العصبية العباسية، وهكذا.

٦- التَّعَصُّب أنواع مختلفة: منه المذموم، وهذا يتمثل فيمن تعصب لجنسه أو لونه أو قبيلته أو جماعته دون النظر في ما هي عليه من حق أو باطل، فينصرها ويدافع عنها حمية وجاهلية عمياء. ومنه التَّعَصُّب الممدوح: وهذا التَّعَصُّب يقصد به ما كان تعصبًا للحق وللعدل، بمعنى التمسك به وعدم التهاون فيه أو التفريط.

٧- يشكل التَّعَصُّب خطرًا شديدًا على الفرد والمجتمع، ولقد قدمت البشرية ثمنًا باهظًا للتعصب، والذي تجلي حسبما تقول الاحصائيات، التي تذكر أن ضحايا التَّعَصُّب منذ عام (١٩٤٥م) يزيدون عن (١٦) مليون نسمة.

٨- قد يكون التَّعَصُّب مذموم ولو كان للحق، وذلك حين يكون التَّعَصُّب للحق بطريقة سلبية بعيدة عن روح الإسلام، بحيث تنفر الآخرين من الحق.

٩- يؤدي التَّعَصُّب إلى تفكك البناء الداخلي للمجتمع الإسلامي، وضعف الروابط الاجتماعية، وفي الجانب العلمي: يؤدى إلى كثرة الكذب في الأحاديث النبوية، والروايات التاريخية، ويدخل أهل العلم في قوقعة الفقه المذهبي ويكبّلهم به، والتَّعَصُّب في الدين يؤدي إلى اضطهاد العلماء، وفي الفكر يؤدي إلى الدوغماطيقية —أي الجزم دون بينة—

١٠- والمتعصب وإن كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء.

١١- للتسامح حدود، يتوقف عندها حينما يمثل خطرا على العقيدة والشريعة الصحيحة.

١٢- التَّعَصُّب له أسباب كثيرة، منها: الحسد والغرور وإتباع الهوى، والجهل والبدع والإحداث في الدين، وتقديس البشر والغلو فيهم، إثارة المسائل الخلافية، الحمية الجاهلية، غياب فقه الخلاف وأدب الحوار، الشعور بالظلم وعدم المساواة، الاعتماد على الأحاديث الموضوعة، ويذكر الأخصائيون النفسيون عوامل أخرى من أسباب التَّعَصُّب منها السمات الشخصية والبيئة المحيطة، والخبرات التعلمية.

١٣- التَّعَصُّب في التاريخ الإسلامي أخذ مظاهر كثيرة، منها: السب والطعن في الخصوم، والتكفير المتبادل، والقتل أو محاولات القتل، الفتن المذهبية بين الطوائف المختلفة، وتقديس الأئمة، والغلو في العقائد والمذاهب، وحرق كتب المخالفين، والتعمد في رواية الأكاذيب وتحريف الأخبار، إنشاء المدارس المذهبية المتعصبة، ومحن وبلاءات أصابت العلماء بسبب التَّعَصُّب، كالسجن والطرد والتعذيب.

ثانيًا: التوصيات:

١- لا بد أن يتحلى المسلم بالموضوعية والإنصاف، ولكي ينجح العلاج، لا بد أن يشعر المتعصب بأنه مريض، وأن يكون راغبًا في الشفاء، وأن يستعمل العلاجات التي يأمر بها العلماء والمختصون.

٢- لا بد من محاربة التَّعَصُّب بكافة أشكاله وأنواعه، سواء أكان للدين أو للوطن، ولا يصح أن يعالج التَّعَصُّب بتعصب آخر، كأن يعالج التَّعَصُّب الديني بتعصب وطني كما يقول البعض.

٣- من أسس العلاج: حب الحقيقة والسعي إليها، فليس هناك عداوة بين المسلم وبين الحق، فأينما وجده وممن قاله يأخذه ولا يتعداه، وقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة على ذلك، فلا بد من التأسي بهم.

٤- لا بد من إخلاص النية الصادقة لله تعالى في طلب الحق، ومن الخضوع التام لأحكام الشرع الحكيم، وأن يكون مرجعنا في أفعالنا وأقوالنا هو الشرع، وأن يكون التعامل مع تراثنا الإسلامي على اختلافه وتنوّعه تعامل إيجابي.

٥- الحرص والسعي الجاد لإيجاد إرادة تغيير لدي السياسيين والعلماء والجماهير الإسلامية لتقبل مشروع مقاومة التَّعَصُّب المذهبي.

٦- هو إبعاد العوام عن التمذهب مطلقًا والسعي الجاد لإيجاد فقه عام مُيسر خال من التَّعَصُّب المذهبي جمع المسائل الفقهية المختلف فيها بين العلماء والمذاهب، وتحريرها تحريرًا علميًا موضوعيًا، والعمل لإحياء منهج الأئمة الأربعة في الاجتهاد الفقهي القائم على الدليل.

٧- عمل أهل العلم على تنمية روح الاجتهاد الحر والحث عليه، والتأكيد على أن التقليد هو عجز وسلبية.

٨- على المجتمعات العلمية دور كبير في علاج مشكلة التَّعَصُّب: فالمساجد والجامعات والكليات والمراكز العلمية والجماعات الإسلامية، لا بد من أن يأخذ كل واحد منهم دوره ويقوم بمسؤوليته.

تم بفضل الله وتوفيقه، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ أو زلل فمني ومن الشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ} [البقرة:١٢٧]

{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ} [يونس:١٠]

قائمة المراجع والمصادر

١. الاتجاهات التَّعَصُّبية: تأليف د. معتز سيد عبد الله، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ١٩٨٩م.

٢. الآحاد والمثاني: أبو بكر ابن أبي عاصم الضحاك (٢٨٧هـ) المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، ط١، الرياض، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٣. أحاديث مختارة: محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ) المحقق: عبدالرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ) ومعه تخريجات العراقي عليه، دار المعرفة، بيروت.

٥. الإسلام والتَّعَصُّب، خورشيد أحمد، ترجمة سعد زغلول أبو سنة، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية، السنة السادسة عدد ٨٧، جمادي الأولى ١٣٩٧هـ، مايو ١٩٧٧م القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

٦. الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٧. أضواء على التَّعَصُّب مجموعة مؤلفين من أديب إسحاق والأفغاني إلى ناصيف نصار، دار أمواج، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٨. الاعتصام: إبراهيم بن موسى (أبو إسحاق الشاطبي) (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور حسن سلمان، مكتبة التوحيد.

٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل- بيروت، ١٩٧٣م.

١٠. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ط٢، القاهرة، ١٣٦٩هـ.

١١. الأم: محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، ط١، المنصورة، ٢٠٠١م.

١٢. الإمامة والسياسة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، (٢٧٦هـ)، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٣. البداية والنهاية ابن كثير أبو الفداء (٧٧٤هـ)، تحقيق: دكتور أحمد فتيح، دار الحديث، القاهرة.

١٤. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٧٤هـ) حققه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (١٢٥٠هـ) تحقيق: مجموعة، دار الهداية.

١٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، لبنان- بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٧. تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ١٤٠٧هـ، بيروت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

١٨. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية- بيروت.

١٩. التحقيق في أحاديث الخلاف: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المحقق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٠. التَّعَصُّب القبلي لدى الفصائل الفلسطينية وأثره على التنمية السياسية: أطروحة ماجستير، إعداد: تفيق محمود أبو حديد، اشرف: عبد الستار قاسم، ٢٠١٠م، جامعة النجاح الوطنية.

٢١. التَّعَصُّب دراسة نفسية اجتماعية، معتز سيد عبد الله، الطبعة الثانية القاهرة، دار غريب، ١٩٩٧م.

٢٢. التَّعَصُّب والتسامح بين الإسلام والمسيحية: محمد الغزالي: نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة السادسة، ٢٠٠٥م.

٢٣. تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

٢٤. تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي المزي (٧٤٢هـ) تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٥. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٠٣هـ.

٢٦. الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن أبي الوفاء (٧٧٥هـ) نشر: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

٢٧. الحكومة الإسلامية للخميني، بدون طبعة.

٢٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي، ط٤، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٩. الخروج على الحكام في الفكر الإسلامي: جمال الحسيني أبو فرحة، مركز الحضارة العربية، ط١ القاهرة ٢٠٠٤م.

٣٠. الدارس في تاريخ المدارس: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (٩٢٧هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد- الهند، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٣٢. الدور التربوي للجامعات الفلسطينية في محاربة التَّعَصُّب لدى طلبتها: أطروحة ماجستير، يوسف الداعور، جامعة الأزهر، ٢٠١٢م.

٣٣. دور العلماء في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف: من إعداد الباحث نفسه، مؤتمر العلماء واقع وآمال – غزة – جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية، شوال ١٤٣٢هـ، المجلد الثاني ٩٦١ - ١٠٠٠.

٣٤. رسالة المسترشدين: الحارث المحاسبي (٢٤٣هـ) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، حلب.

٣٥. الروايات الواهية ودورها في فرقة الأمة سياسيًا، من إعداد الباحث نفسه، مؤتمر الروايات الواهية وخطرها على الإسلام —كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية، ذو القعدة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، المجلد الثاني ص ٩٦٣ — ٩٩٧.

٣٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ) دار النشر: دار المعارف– الرياض– المملكة العربية السعودية

٣٧. سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد العكري (١٠٨٩هـ) تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.

٣٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢هـ

٤٠. شعب الإيمان: أبو بكر محمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) تحقيق: د. عبد العلي حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد– الرياض، الدار السلفية ببومباي– بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

٤١. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير الناصر، ١٤٢٢هـ، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة.

٤٢. صحيح مسلم: أبو الحجاج مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ) دار الجيل بيروت- دار الأفاق الجديدة، بيروت.

٤٣. الضعفاء الكبير: واسمه: أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي (٣٢٢هـ) تحقيق: حمدي السلفي، دار الصميعي، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤٤. ضوابط الحوار مع الآخر: د. سعد عاشور، مجلة الجامعة الإسلامية: سلسلة الدراسات الإسلامية، المجلد السادس عشر، العدد الأول، ص ٨١ – ١٣٣ يناير ٢٠٠٨م.

٤٥. طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ هـ، الطبعة: الأولى.

٤٦. طبقات الشافعية الكبرى: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي (٧٥٦هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، رقم الطبعة: الثانية.

٤٧. العصبية بنية المجتمع العربي: عبد العزيز قباني، بيروت، دار الآفاق الجديدة ١٩٩٧م.

٤٨. علم النفس الاجتماعي: حامد زهران، ط٦ القاهرة (مصر) عالم الكتب ١٩٨٤م.

٤٩. علم النفس الاجتماعي: دراسة نظرية وتطبيقية: فؤاد حيدر، ط١ بيروت: دار الفكر ١٩٩٤م.

٥٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) دار الفكر- بيروت.

٥١. الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي: حققه محي الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٥م.

٥٢. فكر ابن خلدون العصبية والدولة، معالم نظريه خلدونية في التاريخ الإسلامي، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة السادسة.

٥٣. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) تحقيق: عبد الرحمن يحي المعلمي، المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥٤. في أسباب التَّعَصُّب: نحو رؤية تكاملية: د. هاني الجزار، القاهرة (مصر): عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٥م.

٥٥. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الشهير بابن الأثير (٦٣٠هـ) اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

٥٦. كتاب التَّعَصُّب المذهبي في التاريخ الإسلامي - للدكتور: خالد كبير علال - كتاب الكتروني منشور على موقع صيد الفوائد (www.saaid.com).

٥٧. لسان العرب: محمد بن عبيدالله ابن منظور (٧٥٠ هـ) المحقق: عبد الله علي الكبير وآخرون: حسب الله- الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

٥٨. لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية.

٥٩. لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية.

٦٠. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: أبو حاتم محمد بن حبان البستي (٣٥٤هـ) تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٦١. مجموع الفتاوى: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ) جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف وإشراف وزارة الأوقاف والدعوة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٦٢. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن سيده (٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦٣. المختصر في أخبار البشر، عماد الدين أبو الفداء (٧٣٢هـ) ط١ المطبعة الحسينية المصرية.

٦٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، طبع على عدة مراحل في عدة سنوات، بيروت، ٢٠٠١م.

٦٥. مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة (٢٣٥هـ) تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة.

٦٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، نشر بمساعدة جامعة بغداد.

٦٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: عبد الرحمن بن علي بن أبو الفرج، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.

٦٨. منهاج السنة النبوية: شيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى.

٦٩. الموافقات: إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٧٠. مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل: أبو عبد الله محمد بن محمد الطرابلسي (الحطاب الرُّعيني) (٩٥٤هـ) المحقق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، الطبعة: طبعة خاصة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٧١. المورد: قاموس عربي انجليزي، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ٢٠٠٠م، ص: ٢٨٧.

٧٢. الموسوعة العربية العالمية: ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٧٣. ميزان الاعتدال: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ) المحقق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٧٤. نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (٧٦٢هـ)، قدم للكتاب: محمد

يوسف البَنُوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت –لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة – السعودية، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٧٥. النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك ابن الأثير (٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٧٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان (٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، طبع على عدة مراحل.

❁ ❁ ❁

فهرس المحتويات

هذا الكتاب: ٥

ملخص البحث ٦

Abstract ٧

المقدمة ٩

أولاً: أهمية الموضوع وبواعث اختياره: ١٠

ثانيًا: أهداف الموضوع: ١٠

من جوامع الكلم ١١

المبحث الأول: التَّعَصُّب: مفهومه، ونشأته، وأنواعه ١٢

المطلب الأول: مفهوم التَّعَصُّب وحقيقته: ١٢

التَّعَصُّب لغة: ١٢

أما التعصب في الاصطلاح: ١٣

التَّعَصُّب سيكيولوجيًا ١٣

المطلب الثاني: نشأة التَّعَصُّب وبداية ظهوره: ١٥

التَّعَصُّب صفة مكتسبة ١٥

إبليس إمام المتعصبين ١٥

معاناة الأنبياء مع تعصب أقوامهم ١٦

جغرافيا التَّعَصُّب: هل صحيح أن "التَّعَصُّب وباء الشرق" ؟! ١٧

العصبية بنية المجتمع العربي ٢٠

وفي التاريخ الإسلامي ٢٠

العصبيات في الدولة الأموية والعباسية ٢١

بدايات ظهور التَّعَصُّب المذهبي عند المسلمين ٢٢

المطلب الثالث: أشكال التَّعَصُّب وأنواعه ٢٤

أنواع التَّعَصُّب ٢٤

أولاً: التَّعَصُّب المذموم ٢٤

ثانيًا: التَّعَصُّب الممدوح ٢٥

وفي التَّعَصُّب الممدوح ٢٦

المبحث الثاني: خطورة التَّعَصُّب، ومظاهره، وأسبابه ٢٨

المطلب الأول: خطورة التَّعَصُّب ٢٨

ذم التَّعَصُّب من القرآن والسنة ٢٨

في الجانب الاجتماعي ٣١

أما بالنسبة للجانب العلمي ٣١

ومن أضرار التَّعَصُّب في نواحي الدين والسياسة والجنس ٣٣

وللتسامح حدود ٣٤

المطلب الثاني: أسباب التَّعَصُّب ٣٧

أولاً: الحسد والغرور وإتباع الهوى ٣٧

ثانيًا: الجهل والبدع والإحداث في الدين ٣٨

ثالثًا: تقديس البشر والغلو فيهم ٣٩

رابعًا: إثارة المسائل الخلافية ٤٠

خامسًا: الحمية الجاهلية ٤١

سادسًا: غياب فقه الخلاف وأدب الحوار ٤٢

سابعًا: الشعور بالظلم وعدم المساواة ٤٣

ثامنًا: الاعتماد على الأحاديث الموضوعة ٤٤

أسباب أخرى ٤٥

المطلب الثاني: مظاهر التَّعَصُّب ٤٧

مظاهر الشخصية العصبوية ٤٧

مظاهر التَّعَصُّب ٤٧

أولاً: السب والطعن في الخصوم ٤٧

ثانيًا: التكفير المتبادل ٤٨

ثالثًا: القتل أو محاولات القتل ٤٨

رابعًا: الفتن المذهبية بين الشيعة والسنة ٤٩

خامسًا: الفتن المذهبية بين الطوائف السنية ٤٩

سادسًا: تقديس الأئمة ٥٠

سابعًا: الغلو في العقائد والمذاهب ٥٠

ثامنًا: حرق كتب المخالفين تعصبًا للمذهب ٥١

تاسعًا: تعمُّد رواية الأكاذيب وتحريف الأخبار ٥٢

عاشرًا: إنشاء المدارس المذهبية المتعصبة ٥٢

الحادي عشر: محن أصابت العلماء بسبب التَّعَصُّب ٥٣

المبحث الثالث: علاج مشكلة التَّعَصُّب ٥٥

أمور مهمة قبل العلاج ٥٥

شروط الشفاء ثلاثة ٥٥

من أسس العلاج: حب الحقيقة والسعي إليها ٥٧

وأما العلاج فيتمثل في أمور عديدة ٥٨

ومن الناحية العلمية؛ لا بد من أمور ٥٩

ومما يتعلق بالعلاج التربوي ٥٩

وعلى المجتمعات العلمية دور كبير: فالجامعة مثلاً عليها ٦٠

الخاتمة: ٦٢

أهم النتائج والتوصيات ٦٢

أولاً: أهم النتائج: ٦٢

ثانيًا: التوصيات: ٦٤

قائمة المراجع والمصادر ٦٧

فهرس المحتويات ٧٧

تم بحمد الله

سِلْسِلَةُ الأَعْمَالِ العِلْمِيَّةِ (٧)

التَّعَصُّبُ
بَيْنَ المَاضِي وَالحَاضِرِ
وَآثَارُهُ عَلَى العَمَلِ الإِسْلَامِي المُعَاصِرِ

تأليفُ الدُّكتور
نَادِرِ بنُ نَمِرٍ وَادِي

غفرَ اللهُ لهُ ولوالديْهِ وأهْلِهِ ومَشايخِهِ و المُسْلِمِين